ما اختلف رسمه من الكلمات القرآنية في المصاحف العثمانية (جمع ودراسة وتوجيه)

د. محمد خازر المجالي*

* أستاذ مشارك – قسم الدراسات الإسلامية – جامعة الإمارات العربية المتحدة

ملخص البحث:

درس هذا البحث الكلمات التي اختلف رسمها بين مصاحف الأمصار ضمن القراءات العشر المتواترة، وذلك نتيجة لما جرى زمن عثمان رضي الله عنه من رسم للكلمة بطريقة تقبل وجوه القراءة الأخرى، وإلا فبتخصيص بعض المصاحف برسم والأخرى برسم آخر يختلف في حرف أو حرفين.

ونتيجة لهذا فقد وُجِدَتْ سبع وثلاثون كلمة مما اختلف رسمه، ولم تكن هذه الكلمات في مصحف واحد، إنما تم توزيعها بين مصاحف الأمصار.

وبينت الدراسة توجيه هذه القراءات ولطائف من تنوع قراءاتها، مما يبين أن اختلاف القراءات إنما هو اختلاف تنوع وإثراء، لا اختلاف تضاد وتعارض.

وبينت الدراسة خطأ ما قيل عن بعض الكلمات التي ادعي حصول الاختلاف في رسمها، وذلك أن رسمها يحتمل القراءات الأخرى، تبعًا للأسس التي وضعها الصحابة لرسم النص.

وأهم النقاط التي أبرزتها الدراسة:

١ – الاختلاف في القراءات المتواترة هو اختلاف تنوع وإثراء بلا تعارض في المعنى، ومنه ما يختلف فيه رسم الكلمة من مصحف لآخر من مصاحف الأمصار، والكلمات التي فيها اختلاف رسم هي سبع وثلاثون كلمة.

٢ – يرجع هذا الاختلاف في الرسم إلى محاولة اللجنة التي شكلها عثمان من مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، أن يُكتب النص على طريقة تقبل وجوه القراءة الأخرى التي قرأها النبي ﷺ مما يرجع إلى نزول القرآن على سبعة أحرف، فإن أمكن الرسم كذلك فبها، وإلا فقد رسمت في بعض المصاحف بوجه وفي بعضها بآخر.

٣ – لا يتعدى هذا الاختلاف زيادة حرف أو حرفين، ولكنه ينوع في معنى الكلمة ويزيد من إعجازها.

٤ – أظهرت الدراسة بعض اللطائف المتعلقة بهذه الكلمات التي اختلفت قراءتها، فتنوع القراءة جاء ليعطي معنى آخر يريده الله سبحانه وتعالى وينسجم مع

السياق القرآني للآية، وهذا في النهاية يرجع إلى بعض الحكم التي نزل القرآن لأجلها على سبعة أحرف.

٥ – بينت الدراسة عدم اطراد رسم الكلمة أو قراءتها على شكل واحد حيثما وردت، وهذا من أقوى الأدلة أن القراء لم يكن لهم أي دور سوى القراءة وفق السماع، فلم يكن لهم تصرف أو هوى في الكتابة أو القراءة، فكلٌ أدّى كما سمع.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فإن القراءات القرآنية موضوع عظيم القدر، جليل المنفعة، كثير الفائدة، فمنها ما تعلق أمره باختلاف القراءة وتنوعها من دون تضاد فيها، أو بتسهيلها على قارئها من حيث اللهجة، أو بعرض غزارة الكلمات وثراء معانيها، فكل ذلك بحاجة إلى مزيد بحث وعناية وتجلية، كي نقف على شيء من عظمة هذا القرآن، أو ندرك بعضًا من ملامح إعجازه.

إن هناك عدة صور لاختلاف القراءات – كما هو مقرر معروف في كتب القراءات وعلوم القرآن والتفسير – فمنها: ما اختلفت فيه اللهجات دون تغيير في رسم الكلمة أو حركات حروفها، وما اختلفت فيه حركة الحرف، أو صيغة الفعل، أو تنقيط الحرف، أو تغير الكلمة دون تغيير في رسمها، أو تقديم وتأخير، أو بزيادة ألف أو واو أو ياء أو همزة من دون أن يؤثر ذلك في رسم المصحف، وغير ذلك من أنواع الاختلافات، وكل ذلك مما قرأ به الثقات مما تواتر عن نبينا ﷺ فيما عُرف بالقراءات العشر.

إلا أننا – هنا – في هذا البحث أمام نوع مميز من الاختلاف بين القراءات، مما هو مرتبط بصورة (رسم) المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار، وذلك نتيجة لما جرى زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه، إنه مرتبط بما اختلف رسمه بين هذه المصاحف، فكتب في بعضها برسم، وفي بقيتها برسم آخر، مما يندرج كله تحت مسمى القراءات المتواترة.

إننا نقرأ على سبيل المثال قول الله تعالى: ﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾، بينما نجد قراءة متواترة أخرى لكلمة (وسارعوا)، وهي: (سارعوا) من دون واو، ونقرأ قوله تعالى: "وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار"، بينما نقرأ في قراءة متواترة أخرى بزيادة (من) لتصبح: "جنات تجري من تحتها الأنهار"[(١)]، وهكذا مما يزاد فيه حرف أو حرفان، كما سنرى في بحثنا هذا، مما تواتر نقله عن نبينا ﷺ.

---

(١) سأبين القراءات في مواضعها لاحقًا.

فهذا الموضوع مرتبط بالقراءات القرآنية، وبالطريقة التي كتبت بها المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه، فيما عرف بالرسم العثماني. وفي هذا البحث نبين بعض ما يتعلق بهذه الظاهرة من اختلاف الرسم بين المصاحف العثمانية، والوقوف عند بعض ملامحها ولطائفها.

منهجية البحث:

حتى ننجز المراد من هذا البحث، فلا بد من اتباع الخطوات التالية:

١ – جمع الكلمات التي اختلف رسمها من مصحف لآخر من مصاحف الأمصار.

٢ – ملاحظة إن كانت طريقة كتابتها مطردة في المصاحف أم لا.

٣ – الدراسة المقارنة لهذه الكلمات فيما بينها، من حيث القراءة والتوجيه، معتمدين على ما قرأ به القراء العشرة من القراءات المتواترة.

٤ – بيان اللطائف المرتبطة بهذا الاختلاف بينها.

وسأبدأ بتمهيد للبحث أعرض فيه مختصراً عما جرى زمن عثمان رضي الله عنه، مما هو مرتبط بالرسم العثماني، فالبحث مرتبط بالرسم نفسه، حين راعى وجوه القراءة التي قرأ بها النبي الكريم ﷺ. وبعد ذلك فإنني أفرد كل كلمة بالتعليق المختصر، وذلك ببيان القراءات فيها وتوجيهها، وما ذكره القراء من اختلاف رسم المصاحف فيها ومدى الدقة في كلامهم، ثم أعلق عليها، ببيان بعض من لطائف القراءات فيها، وتجنباً للتكرار فسأرتب هذه الكلمات في مباحث، وكل مبحث ترتب الآيات فيه حسب ترتيب المصحف، وقد جاء الترتيب كما يلي:

- المبحث الأول: اختلاف الرسم فيما تعلق بحذف الواو أو إثباتها أول الكلمة.
- المبحث الثاني: اختلاف الرسم فيما تعلق بحذف حرف أو إثباته سوى الواو.
- المبحث الثالث: اختلاف الرسم فيما تعلق بإبدال حرف بآخر.
- المبحث الرابع: ما لم يصح فيه الاختلاف في الرسم.

التمهيد: في الرسم العثماني

لقد اشتهر هذا المصطلح وارتبط بسيدنا عثمان رضي الله عنه، وذلك لما جرى في عهده من استنساخ للمصحف الموجود عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهو المصحف نفسه الذي جُمع زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بعد أن اقترح عمر رضي الله عنه موضوع الجمع، خوفاً من ضياع القرآن نتيجة لكثرة القتل الذي استحر في القراء في معركة اليمامة، بين المسلمين والمرتدين.(٢) فجمع القرآن بعد أن كتب كله زمن النبي الكريم ﷺ على تلك الوسائل البسيطة التي يستحيل معها ضمه وجمعه بين دفتي كتاب، فتمت إعادة كتابته على ما يمكن معه ضم الصحف إلى بعضها وجمعها، وهو ما جرى زمن أبي بكر رضي الله عنه، وبقي المصحف عنده، ثم عند عمر رضي الله عنه، ثم عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وفي زمن عثمان رضي الله عنه حدث أن توسعت الدولة الإسلامية، وكثر الداخلون في الإسلام من العجم وكثر اللحن، وأدى هذا إلى أن يلحن بعضهم بقراءة القرآن، وانتشر عدد من الصحابة في الأمصار، وكتب بعض الناس ما قد حفظوه من الصحابة، ولكن الأمر لم يكن رسمياً أو دقيقاً، فأدى إلى أن يختلفوا في القراءة، بل أن يخطِّىء بعضهم بعضاً لمخالفته قراءته، وعلم بهذا الأمر الصحابي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وكان في جيش فتح أرمينية وأذربيجان، وسمع بنفسه نزاع بعض المسلمين في القراءة، ونقل هذا الأمر إلى الخليفة فور عودته(٣)، واستشار عثمان الصحابة واستقر أمرهم على تشكيل

---

(٢) القصة واردة في كثير من الأحاديث، انظر – على سبيل المثال – البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، (دار الفكر، بيروت)، ٩/ ١١، حديث رقم: ٤٩٨٦، ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/١، ١٩٩٥)، ١/ ٢٠٤–٢٠٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم: ٤٩٨٧.

لجنة على رأسها زيد بن ثابت، ومعه ثلاثة قرشيين من أفصح قريش لساناً[٤]، مهمتها نسخ القرآن في عدة مصاحف، وإرسالها إلى الأمصار[٥]، وأن يكون المصحف الموجود عند حفصة الأصل في عملية النسخ.

وكتبت النسخ بطريقة تقبل كل وجوه القراءة الثابتة التي قرأها النبي ﷺ، فإن أمكن كتابة الكلمة بصورة تقبل وجوه القراءة الأخرى الثابتة عن النبي ﷺ كتبت كذلك، (وهذا الذي يفسر اختلاف كتابة القرآن عن أصول الكتابة العربية – الخط القياسي)، وإن لم يمكن ذلك فقد خُصَّت بعض المصاحف بوجه، والمصاحف الأخرى بوجه آخر (وهذا الذي يفسر لنا اختلاف مصاحف الأمصار فيما بينها في رسم بعض الكلمات).[٦]

وكتبت مجموعة من المصاحف اختلف في عددها وهي على الأرجح ستة، أرسلت إلى الأمصار الرئيسة، وهي: مكة، الشام، الكوفة، البصرة، المدينة، وبقي عند الخليفة مصحف. ثم أرسل الخليفة مع كل مصحف قارئاً أو أكثر من الصحابة أو من كبار التابعين؛ ليكونوا المرجع في ضبط النص المكتوب في المصحف المرسل إلى هذا المصر أو ذاك، فمن المعلوم أنه لم يكن هناك ثمة

---

(٤) وهم سعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث، وقد وردت أسماؤهم في حديث الجمع في صحيح البخاري المذكور أعلاه برقم: ٤٩٨٦. وانظر كتاب المصاحف، ١/٢٠٥، الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مكتبة دار التراث، القاهرة)، ١/٢٣٥-٢٣٦؛ السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، (المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣)، ١/٥٩-٦٠، الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط/١٨، ١٩٩٠)، ص: ٧٨.

(٥) وهذا مذكور في أحاديث نسخ المصاحف، انظر البخاري، الحديثان: ٤٩٨٤، ٤٩٨٧. وانظر شرح ابن حجر لهما في الفتح، ٩/٢٠.

(٦) انظر كلام الداني، أبي عمرو عثمان بن سعيد، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق محمد أحمد دهمان، (دار الفكر، دمشق، ط/٢، ١٩٨٣)، ص: ١١٥. وانظر – أيضا – البرهان، ١/٣٧٨، الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة)، ١/٢٥٧.

تنقيط أو تشكيل، ولم تكن القراءة بالتشهي، إنما وفق السماع.[٧] ثم أمر الخليفة بما سوى هذه المصاحف أن يحرق أو يغسل.[٨]

ونوضح الأمر فيما يتعلق برسم الكلمة فيما ورد أعلاه، إذ هي النقطة الأهم فيما جرى زمن عثمان رضي الله عنه، فيما فعلته وطبقته اللجنة التي شكلها عثمان، فمثلاً كلمة (مالك) في سورة الفاتحة فيها قراءة أخرى وهي (ملك)[٩]، فحتى تكتب الكلمة على طريقة تقبل القراءتين كتبت على صورة (ملك) على أن تزاد ألف صغيرة بعد الميم لتُقرأ: مالك؛ وكلمة (قال) في سورة

---

(٧) انظر السخاوي، علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق علي حسن البواب، (مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط/١، ١٩٨٧)، ٢/٤٣٢-٤٣٨، حيث يرد على الطبري فيما قاله عن قراءة ابن عامر، فيبين سند كل مقرئ من القراء العشرة. وهناك مجموعة من الآثار تدل على وجوب الاتباع في القراءة لا الابتداع فيها، انظر كتاب السبعة لابن مجاهد، ص: ٤٦-٥٢، فتح الباري، ٩/٢٧، ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ١/١٧، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، (الرياض، تصوير ط/١)، ١٣/٣٩٩.

(٨) انظر تفاصيل هذه الخطوات في كتاب المصاحف، ١/٢٠٤-٢٠٩؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فضائل القرآن الكريم، تحقيق السيد الجميلي (دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/١، ١٩٨٦)، ص: ٢٥-٢٦، مباحث، الصالح، ص: ٧٩-٨٠، دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن، (دار القلم، الكويت، ١٩٨٤)، ص: ٤٣-٤٤، مناهل العرفان، ١/٢٥٣-٢٥٩، محيسن، محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، (دار الأصفهاني، جدة، ١٩٧٣)، ص: ١٤٢-١٤٦، أبو شهبة، محمد بن محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (دار الجيل، بيروت، ط/٢، ١٩٩٢)، ص: ٢٤٥-٢٥٥، لاشين، موسى شاهين، اللآليء الحسان في علوم القرآن، (مطبعة الفجر الجديد، القاهرة)، ص: ٥٧-٦٠، القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢، ١٩٩٦)، ص: ١٢٩-١٣٥، حمادة، فاروق، مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، (مكتبة المعارف، الرباط، ط/١، ١٩٧٩)، ص: ٨١-٩٠؛ عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، (دار الفرقان، عمّان، ط/١، ١٩٩٧)، ١/٢٢٩-٢٣٠.

(٩) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف: مالك، وقرأ الباقون: ملك، انظر راجح، محمد كريّم، القراءات العشر المتواترة، المطبوع في هامش القرآن الكريم، (دار المهاجر، المدينة المنورة، ط/٣، ١٩٩٤). وأنبه إلى أن ما أبينه من قراءات بلا عزو فهي من هذا الكتاب.

المؤمنون (الآية/١١٢) قرئت (قل)[١٠]، وحتى تكتب الكلمة على طريقة تقبل القراءتين كتبت على صورة (قل) على أن تزاد ألف صغيرة بعد القاف لتُقرأ: قال؛ وكلمة (كلمة) في سورة الأنعام، (الآية/١١٥) فيها قراءة أخرى وهي (كلمات)[١١]، وحتى تكتب على طريقة تقبل القراءتين كتبت على صورة (كلمت) بتاء مفتوحة، على أن تزاد ألف صغيرة بعد الميم لتُقرأ: كلمات، وهكذا. مع ملاحظة أن هذا الأمر ليس في كل موضع من مواضع ورود هذه الكلمات، بل حيثما وردت فيها قراءات تتطلب مثل هذا الرسم، فهناك مثلاً كلمة (قال) مكتوبة هكذا في كثير من المواضع لأنه ليس فيها في تلك المواضع إلا قراءة واحدة، وهكذا بالنسبة للكلمات الأخرى، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الألف في هذه الأمثلة ليست من الرسم، بل عدها العلماء من الضبط المتأخر عن زمن عثمان رضي الله عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك اختلافات بين القراءات مما فيه زيادة حرف دون أن يؤثر ذلك على رسم الكلمة في كل المصاحف، وما ذكرناه عن الألف أعلاه ينطبق على حروف أخرى لا تؤثر في طريقة الرسم، ومن هذه الحروف: الياء والواو والهمزة في أول الكلمة أو أثنائها أو آخرها، وكذلك القراءة بالصاد أو السين، فكل ذلك مما لم يختلف رسمه بين مصاحف الأمصار.[١٢]

---

(١٠) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: (قل)، وقرأ الباقون: (قال).

(١١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف: كلمة، وقرأ الباقون: كلمات.

(١٢) وقد ذكر العلماء قواعد هذه الحروف، انظر كتاب المصاحف، ١/ ٣٩٤-٣٩٨؛ أبو عبد الله محمد بن يوسف الجهني، في كتابه: البديع في رسم مصاحف عثمان، تحقيق سعود بن عبد الله الفنيسان، (دار إشبيليا، الرياض، ط/١، ١٩٩٨)، وذلك في كثير من مواضع كتابه؛ المدخل لدراسة القرآن، ص: ٣٠٢-٣٠٧؛ محمد سالم محيسن في كتابه: الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٤)، ص: ١٣٦-٢٧٤ مع استقراء للكلمات كلها؛ اللآلئ الحسان، ص: ٧٣-٧٥؛ مناهل العرفان، ١/ ٣٦٩-٣٧٣؛ مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، ص: ٩٣-٩٤؛ إتقان البرهان، ١/ ٤٦٦-٤٦٨. ومن الكتب المؤلفة فيه كتاب المقنع، وكتاب الفوتي، أحمد مالك حماد، مفتاح الأمان في رسم القرآن، (دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط/١، ١٩٦٣).

أما ما لا يمكن رسمه بهذا الشكل وهذه الطريقة، وهذا خاص فيما فيه زيادة بين قراءة لأخرى، فكيف فعل الصحابة فيه؟ فالذي دلت عليه عبارات القراء ومشاهداتهم أن الرسم اختلف من مصحف لآخر فيما يخص هذه الكلمات، فمثلاً كيف تكتب كلمة (وسارعوا) لتقبل القراءة الأخرى وهي (سارعوا) من دون واو؟ وكيف تكتب كلمة (يرتد) في سورة المائدة، (الآية/ ٥٤) فقد قرئت أيضاً (يرتدد) بزيادة دال، وهكذا مما سنجده في ثنايا هذا البحث. فالصحابة – زمن عثمان – خصوا بعض المصاحف أو أحدها بوجه من وجوه القراءة، والمصاحف الأخرى بالوجه الآخر، وهكذا، فقد تحاشوا أن يكتبوا الرسمين في مصحف واحد.(١٣)

ولذلك نجد علماء القراءات عندما يتحدثون عن القراءة في هذه الوجوه يقولون مثلاً: وهي هكذا في مصاحف المدينة والشام، أو مكة والبصرة، وهكذا، كما سنبين في الدراسة التفصيلية.

وبناء على طريقة الرسم العثماني فإننا نجزم بأن الكتبة زمن عثمان راعوا وجوه القراءة التي ثبتت في العرضة الأخيرة التي عرض فيها النبي القرآنَ على جبريل عليهما الصلاة والسلام، إذ لو كان وجهاً واحداً لما أدى هذا إلى اختلاف الرسم في بعض الكلمات.(١٤)

ولا بد من القول: إن القراءات القرآنية قد أظهرت ـأحياناًـ معاني مختلفة بلا تضاد، وعندها فإننا لا نبحث عن وجوه هذه القراءات في لغة العرب

---

(١٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، ١/ ٢٥٩؛ اللآليء الحسان في علوم القرآن، ص: ٥٩؛ خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، ص: ٨٣–٨٤.

(١٤) لمزيد من المعلومات حول العرضة الأخيرة وما جرى فيها انظر الإمام النسائي، أحمد بن شعيب، فضائل القرآن، تحقيق فاروق حماده، (دار إحياء العلوم–بيروت، ودار الثقافة–الدار البيضاء، ط/٢، ١٩٩٢)، ص: ٧١–٧٣؛ فضائل القرآن لابن حجر، ص: ٩٣، فتح الباري، ٩/ ٣٠؛ النشر، ١/٨، ٣٢؛ تاريخ القرآن لمحيسن، ص: ١٥٩–١٦٠.

فحسب، بل عن فائدة ورودها على هذه الصور من القراءة وما تحويه من غزارة للمعنى، وذلك حين تُقرأ الكلمة على أكثر من وجه وتفيد أكثر من معنى.

نتائج البحث والاستقراء

بعد البحث والاستقراء لكلمات القرآن الكريم، التي وردت فيها قراءات متواترة مختلف رسمها من مصحف لآخر، فإنني وقفت على سبع وثلاثين كلمة مما فيه اختلاف الرسم بين المصاحف، ومما ذكره العلماء أو بعضهم على أنه مما اختلف رسمه، وهناك خلاف في كلمات أخرى سأعرض له في نهاية البحث.

واعتمدت في هذا الجمع على ملاحظة الاختلاف بين القراءات القرآنية، فجمعت ما كان رسمه مما لا يقبل الوجه الآخر، ولعل في كلام المحققين ما يساعد على تأكيد ذلك عندما يقولون مثلاً: هي مرسومة هكذا في مصحف كذا، وهكذا في مصحف كذا. واعتمدت أيضاً على جهود العلماء الذين أحصوا هذه المواضع، ومنهم: أبو عبيد، وابن أبي داود، والداني، والجهني، ومحمد سالم محيسن، وغيرهم(١٥)، ولكن هناك بعض الأخطاء فيما عرضه هؤلاء على أنه مما اختلف رسمه، ومن هنا فسأبين بعض ما أدرجوه على أنه مما اختلفت فيه مصاحف الأمصار، بينما ليس فيها اختلاف.

الكلمات التي اختلف رسمها بين مصاحف الأمصار

١. الواو في كلمة (وقالوا) في قوله تعالى من سورة البقرة:

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾

(١٥) أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن، تحقيق وهبي سليمان غاوجي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩١)، ص: ١٩٨–٢٠٠؛ ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ١/٢٤٧–٢٧٨؛ والداني في المقنع، ص: ١٠٢–١١٣؛ الجهني، في البديع، ص: ١٧٧–١٨١؛ ومحمد سالم محيسن في الفتح الرباني، ص: ٧٦–١٢٣.

ورد في قراءتها وتوجيهها أن ابن عامر قرأ: (قالوا) بغير واو على الاستئناف، وكذا هي في المصحف الشامي، وقرأ الباقون: (وقالوا) بالواو على العطف، كما هو في مصاحفهم.(١٦)

إن من المعروف في أسلوب القرآن: أنه يتجاوز حدود الموضع اللفظي إلى السياق، بل إلى موضوع السورة بشكل عام، ولهذا فإننا لن نستسلم لقواعد مبحث الفصل والوصل بين الجمل في شأن الواو وعدمها، لأنها موجودة ومفقودة في آن واحد بالنظر إلى القراءتين، ولذلك فالأوْلى أن نقول: إن كل قراءة من القراءتين لها اعتبار بمعنى خاص، وذلك بالنظر إلى الجملة السابقة من جهة، وبالنظر إلى السياق والآيات السابقة من جهة أخرى، وبذلك يكتمل تجاذب النص القرآني وارتباطه، وتتضح غزارة معانيه وجودته.

وإذا ألقينا الضوء على الآيات السابقة لهذه، فقد قص الله علينا بعض مقولات أهل الكتاب، ومنها قولهم: "لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى"، وقول اليهود "ليست النصارى على شيء" وقول النصارى "ليست اليهود على شيء"، ثم الحديث عمن "منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها"، وأن "لله المشرق والمغرب، فأينما تولوا فثم وجه الله".

فمن قرأ بالواو فقد عطف هذه المقولة على المقولات السابقة لأهل الكتاب، إذ لم يذكر السياق قولاً لغيرهم، فقد قالوا –أيضاً–: بأن الله اتخذ ولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ولا يضر – هنا – طول الفاصل، فالسياق واحد مترابط.

---

(١٦) انظر القراءات والتوجيه عند: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، (دار المعارف، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٠)، ص: ١٦٩؛ أبي عمرو الداني، عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، (مطبعة الدولة، استنبول، ١٩٣٠)، ص: ٧٦؛ ابن زنجلة، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٧٩)، ص: ١١٠–١١١؛ النشر، ٢/ ٢٢٠؛ الدمنهوري، أبو عياشة محمد البيومي، الفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني، تحقيق عبد العزيز بن ناصر السبر، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط/١، ١٤١٧هـ)، ص: ١٢٩. وقد نبه ابن الجزري إلى أن القراء اتفقوا على حذف الواو من موضع سورة يونس الشبيه بهذا، (الآية/٦٨).

وأما من قرأ بدون الواو فعلى استئناف كلام جديد يبين شكلاً آخر من أقوال أهل الكتاب مما اشترك معهم به مشركو العرب، وهو أنهم جميعاً قالوا: اتخذ الله ولداً، فقد قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقال المشركون الملائكة بنات الله. وقد دلت الآيات بعد هذه على ما اشترك به هؤلاء وتشابهوا، فقال سبحانه: "وقال الذين لا يعلمون –مشركو العرب– لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية، كذلك قال الذين من قبلهم –اليهود والنصارى– مثل قولهم، تشابهت قلوبهم، قد بينا الآيات لقوم يوقنون(١١٧)".[١٧]

وبهذا نلحظ كيف راعت كلتا القراءتين السياق بأكمله، فالقرآن سلسلة متصلة، لا يجوز فصل بعضه عن بعض، وينبغي لمن أراد فهمه أن يربط الآيات ببعضها، ويلحظ العلاقات بينها.

وقد ذهب أبو علي الفارسي إلى أن حذف الواو يجوز من جهتين: الأولى أن جملة (قالوا اتخذ الله ولداً) ملابسة بما قبلها من قوله تعالى (ومن أظلم ممن منع مساجد الله...)، وهم جميع المتظاهرين على الإسلام من صنوف الكفار، فالذين قالوا اتخذ الله ولداً هم من جملة هؤلاء، فيُستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها، ويشبه هذا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾، (البقرة/٣٩)، فلم يقل سبحانه (وهم فيها خالدون)، والوجه الآخر أن نستأنف الجملة فلا نعطفها على ما تقدم.[١٨]

---

(١٧) حجة القراءات، ص: ١١٠–١١١؛ ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (دار الشروق، بيروت، ط/٣، ١٩٧٩)، ص: ٨٨؛ ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤)، ١/٦٨٣.

(١٨) أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، تحقيق ومراجعة: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاتي، عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، (دار المأمون للتراث، بيروت ودمشق، ط/١، ١٩٨٧)، ٢/٢٠٢–٢٠٣. وابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق الرحالي الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي صادق العناني، (وزارة الأوقاف، قطر، ط/١، ١٩٧٧)، ١/٤٥٩، حيث يشير إلى كلام أبي علي الفارسي ويرتضيه.

٢ – كلمة (ووصى) في قوله تعالى من سورة البقرة:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُۖ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾

جاء في قراءتها وتوجيهها: أنه قرأ المدنيان: –نافع وأبو جعفر– وابن عامر: (وأوصى) بهمزة مفتوحة صورتها ألف بين الواوين مع تخفيف الصاد، وهي بهذه الصورة من الإيصاء، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون: (ووصّى) بتشديد الصاد من غير همزة بين الواوين، وهي بهذه الصورة من التوصية، وكذلك هي في مصاحفهم.(١٩)

ومما يلفت الانتباه في ألفاظ القرآن: أن لفظ الوصية جاء في كل الآيات (وهي ٣٢ موضعاً) بلفظ الوصية، إلا في موضع واحد في سورة مريم على لسان عيسى ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ٣١﴾، (الآية/ ٣١)، وهنا في هذه القراءة للآية من سورة البقرة، فليس الأمر مطرداً بقراءتها على الوجهين في كل موضع.

ولمعرفة المعنى اللغوي للكلمة يقول الراغب الأصفهاني: إن وصى من الوصية، أي التقدم إلى الغير بما يعمل به، مقترناً بوعظ، من قولهم: أرض واصية أي متصلة النبات، ويقال: أوصاه ووصاه، وتواصى القوم: إذا أوصى بعضهم إلى بعض.(٢٠) وقال الكسائي: "هما لغتان معروفتان، تقول: (وصيتك وأوصيتك) كما تقول (كرّمتك وأكرمتك)، والقرآن ينطق بالوجهين، والتشديد أكثر".(٢١)

---

(١٩) انظر القراءات والتوجيه في السبعة، ص: ١٧١، ولم يذكر ابن مجاهد اختلاف الرسم فيها؛ التيسير، ص: ٧٧؛ حجة القراءات، ص: ١١٥؛ النشر، ٢/٢٢٢–٢٢٣؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٣١.

(٢٠) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت)، ص: ٥٢٥. وقال ابن عاشور إن الوصية أبلغ من مطلق الأمر والنهي، فلا تطلق إلا حين يخاف الفوات، انظر التحرير والتنوير، ١/٧٢٧.

(٢١) انظر كلامه في حجة القراءات، ص: ١١٥. وانظر أيضاً الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط/١، ١٩٩٤)، ١/٢١٠.

وذهب بعض العلماء إلى التفريق بينهما، وذلك أن أوصى تكون للقليل والكثير، بينما وصَّى لا تكون إلا للكثير، إذ أن التشديد يفيد تكرير الفعل ومداومته، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾، (يونس/٩٨)، فهو تمتع مستمر إلى أن يشاء الله، وقوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾، (البقرة/١٢٦) يدل على القلة، ومن هنا يقول الطبري: إن (أوصى) بمعنى عهد، أما (وصّى) فمعناها عهد إليه عهداً بعد عهد، وأوصى وصية بعد وصية.(٢٢)

وسواء أخذنا بالرأي القائل: إن اللفظين لغتان، أو أن هناك فرقاً بينهما، فقد تبين المقصد من مجيء القراءتين. فعلى قراءة التشديد فقد وصى إبراهيمُ بنيه، وفعل ذلك يعقوبُ أيضاً، لتأخذ هذه الوصية المتعلقة بالتوحيد وكلمة الإسلام(٢٣) مبدأ الاستمرار يتناقلها المؤمنون من جيل إلى آخر. وعلى قراءة التخفيف مع الهمزة فبمعنى أن إبراهيم أوصى بها بنيه بحضرته لتأخذ طابع التخصيص، فتكون موضع عناية منهم، وهم بيت النبوة، وفعل كذلك يعقوب مع بنيه كما تدل الآية التالية لهذه مباشرة وهي قوله تعالى: "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه: ما تعبدون من بعدي...".

ومن هنا كانت القراءة بالوجهين؛ ليدل كل منهما على أهمية الوصية من حيث العناية بها من جهة، ومن حيث نقلها للآخرين من ناحية أخرى.

٣ – الواو في كلمة (وسارعوا) في قوله تعالى من سورة آل عمران:

﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

قرأ المدنيان وابن عامر: (سارعوا) بغير واو قبل السين على الاستئناف،

---

(٢٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/٣، ١٩٦٨)، ١/٥٦١. وانظر حجة القراءات، ص: ١١٥؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٨٨، ٨٩؛ تفسير ابن عطية، ١/٤٩٥.

(٢٣) وهذا ما ذكره الطبري، فقال بأن الوصية هي كلمة (أسلمت لرب العالمين)، انظر تفسير الطبري، ١/٥٦٠. وهو أيضاً ما رجحه الشوكاني، انظر فتح القدير، ١/٢١٠.

وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون: (وسارعوا) بالواو على العطف، وكذلك هي في مصاحفهم.[٢٤]

إن الآيات قبل هذه جاءت متحدثة عن جملة من التوجيهات للمؤمنين، بأن لا يأكلوا الربا، وأن يتقوا الله، وأن يتقوا النار التي أعدت للكافرين، وأن يطيعوا الله والرسول، ثم تأتي هذه الآية بعدها مباشرة.

وبهذا نعلم أن من قرأ بالواو وصلاً فبالعطف على مجموعة الأوامر السابقة، فالسياق متصل. وأما من قرأ بدون الواو فلارتباط الآية بما قبلها، فكأن قوله تعالى (سارعوا إلى مغفرة من ربكم...) جاء في موضع البدل أو البيان[٢٥] لجملة (أطيعوا الله والرسول) وما قبلها، فكأن سائلاً يسأل: كيف تكون تقوى الله واتقاء النار وطاعة الله ورسوله؟ فيجيء الجواب بما ينبغي فعله وهو المسارعة إلى ما يجلب المغفرة والجنة من أعمال صالحة. وبهذا نعلم سر المجيء بالقراءتين.

وقد بين أبو علي الفارسي بأن من ترك الواو فلالتباس الجملة بسابقتها مستغنية بالتباسها بها عن عطفها بالواو.[٢٦] أما ما قاله بعض من وجّه القراءة -كابن زنجلة- بأن ترك الواو لاستئناف كلام جديد منقطع عما سبقه فبعيد، إذ العلاقة واضحة متينة بين الجمل.

٤. كلمتا (والزبر والكتاب) في قوله تعالى من سورة آل عمران:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾

قرأ ابن عامر: (وبالزبر) بزيادة باء بعد الواو، واختلف عن هشام عن ابن

---

(٢٤) انظر القراءات والتوجيه في السبعة، ص: ٢١٦؛ النشر، ٢/٢٤٢؛ التيسير، ص: ٩٠؛ حجة القراءات، ص: ١٧٤؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٥٢.

(٢٥) التحرير والتنوير، ٤/٨٨.

(٢٦) انظر الحجة للقراء السبعة، ٣/٧٨؛ تفسير ابن عطية، ٣/٣١٩.

عامر في: (وبالكتاب)، والراجح أنها عنده: (وبالكتاب) بزيادة باء بعد الواو أيضاً، وخلاصة أقوال المحققين أنها هكذا مرسومة في مصحف الشام، وقد ذكر ابن الجزري ذلك عن مجموعة من العلماء، بل قد رآه هو نفسه في المصحف الشامي في الجامع الأموي بالباء. إلا أن ابن الجزري يعود ليقول: بأن الثقات رووا عن هشام حذف الباء، وبهذا فهي عنده بوجهين، بحذف الباء وإثباتها، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر: (والكتاب) بدون باء، وقرأ الباقون: (والزبر والكتاب) بالحذف فيهما، وكذا هي في مصاحفهم.(٢٧)

فالكلمتان في مصحف الشام بالباء بعد الواو، فاتفق راويا ابن عامر عنه على رواية (وبالزبر) بالباء كما هي في المصحف، أما بالنسبة للكلمة الثانية (وبالكتاب) فهي مرسومة هكذا، ولكن عند ابن عامر فيها قراءتان، فروى هشام عنه الوجهين، بالباء المتفقة مع رسم المصحف الشامي وبدونها، وروى ابن ذكوان الوجه الآخر بدون الباء رغم مخالفته لرسم المصحف الشامي. وللعلم فقد جاء في سورة فاطر/٢٥ ذكر الباء فيهما جميعاً باتفاق القراء، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾.

والذي يمكن قوله بشأن توجيه هذه القراءات، أن الله تعالى قال أولاً: بالبينات، فالعامل هنا هو الباء، فلما جاء العطف أغنت الواو عن إعادة العامل، كما نقول: مررت بزيد وعمرو، فقد أشركت الواو عمراً في الباء، تماماً كما نقول: جاءني زيد وعمرو، فالواو أشركت عمراً في المجيء. فمن قرأ بدون الباء فعلى

---

(٢٧) انظر النشر، ٢/٢٤٥-٢٤٦. وانظر أيضاً: فضائل القرآن لأبي عبيد، ص: ١٩٧؛ السبعة، ص: ٢٢١؛ التيسير، ص: ٩٢؛ حجة القراءات، ص: ١٨٥؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٥٤؛ أحمد محمد أبو زيت حار، (لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن)، (الهيئة العامة بشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥)، ص: ١٠٨-١٠٩. وانظر التحرير والتنوير، ٤/١٨٧، حيث يحكم ابن عاشور على قراءة هشام أنها شاذة. وجدير بالذكر أيضاً أن الطبري لم يذكر شيئاً عن كلمة (وبالكتاب)، انظر تفسيره، ٤/١٩٩.

الأصل في إفادة العطف معنى الباء المذكورة في (بالبينات)، ومن قرأ بالباء في الموضع الثاني أو فيه وفي الثالث فعلى قصد التأكيد.[٢٨]

وذهب بعض العلماء إلى أن عدم تكرار العامل يفيد المرة الواحدة، فمثلاً قولك: مررت بزيد وعمرو، فهو مرور واحد في حالة واحدة، وقوله تعالى: جاؤوا بالبينات والزبر، فهو في حال واحد وفي وقت واحد، بينما: مررت بزيد وبعمرو فهما مروران، وهذا لا يكون في وقت واحد، وبناء عليه يكون المعنى أن الرسل جاؤوا أولاً بالبينات وهي المعجزات، ثم جاؤوا بعد ذلك بالزبر أي بالكتب، وهكذا.[٢٩]

وهذا الكلام يعطي معنى آخر لم يكن ليفهم لولا وجود هذه القراءات، فالمراد في النهاية هو تثبيت النبي الكريم ﷺ أمام ما يواجهه من تكذيب، فيسليه الله بذكر أحوال الرسل قبله، وسواء أجاء هؤلاء الرسل بالبينات والكتب مرة واحدة أم مرة بعد مرة، فالأمر في حال التكذيب واحد عند هؤلاء الجاحدين، فهو العناد والكبر.

٥. كلمة (قليل) في قوله تعالى من سورة النساء:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾

قرأ ابن عامر: (إلا قليلاً منهم) بالنصب على الاستثناء، وكذا هي في مصحف الشام، وقرأ الباقون: (إلا قليلٌ منهم) بالرفع على البدل من الضمير المرفوع، وكذا هي في مصاحفهم.[٣٠]

---

(٢٨) انظر الحجة للقراء السبعة، ٣/ ١١٤؛ تفسير ابن عطية، ٣/ ٤٤٥.

(٢٩) انظر حجة القراءات، ص: ١٨٥؛ الحجة لابن خالويه، ص: ١١٨، وقد ذكر كل منهما هذا القول منسوباً للخليل بن أحمد.

(٣٠) انظر كتاب السبعة، ص: ٢٣٥؛ التيسير، ص: ٩٦؛ حجة القراءات، ص: ٢٠٦؛ النشر، ٢/ ٢٥٠؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٥٩.

والوارد في كلام العرب في حالة النفي هو الرفع، إلا أنه ورد أيضاً في كلامهم النصب مع النفي كما يقولون: (ما جاءني أحدٌ إلا زيداً) على أنه استثناء منقطع، أي: أستثني زيداً، وبهذا تكون قراءة النصب على معنى: أستثني قليلاً منهم. والمقرر في الاستثناء إن كان منفياً وكان ما بعد إلا من جنس ما قبلها أن الرفع أولى على البدل، والنصب جائز. وإن كان ما بعد إلا ليس من جنس ما قبله، كقولنا: (ما له ابن إلا بنتاً)، فالنصب أولى على الاستثناء المنقطع، والرفع جائز على البدل.(٣١)

وذهب أبو علي الفارسي وابن خالويه إلى رد لفظ النفي على ما كان في الإيجاب، كأن قائلاً قال: قد فعلوه إلا قليلاً منهم، فرد عليه لفظه مجحوداً فقال: ما فعلوه إلا قليلاً منهم، كما يقول: قد قام زيد، فيرد عليك: ما قام زيد. أو أن يكون المعنى قد اكتمل عند (ما فعلوه) كما في قولنا: (ما جاءني أحدٌ إلا زيداً) أن يكتمل المعنى عند (أحدٌ) من دون تقدير للبدل كما في قراءة الرفع، أي: ما جاءني أحدٌ، ثم تبدأ بالاستثناء: إلا زيداً، على تقدير: إلا زيداً جاء، وهنا في الآية يكتمل المعنى عند: (ما فعلوه)، ثم نستثني (إلا قليلاً منهم)، وهذا كلام جميل.

وهذا الموضع شبيه بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٖ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ﴾، (هود/٨١)، فقد قرأ ابن كثير وأبو عمرو (امرأتُك) برفع التاء على البدل، وقرأ الباقون (امرأتَك) على الاستثناء.(٣٢)

وفيما يتعلق بالقراءتين هنا، فإما أن نحملهما على ما عليه لغة العرب وما هو مستخدم في لسانهم، فالجملة فيها نفي، فيجوز فيها الوجهان: الرفع على البدل، والنصب على الاستثناء، وإما على ما رجحه ابن خالويه وأبو علي

---

(٣١) حجة القراءات، ص: ٢٠٦–٢٠٧. وانظر أيضاً تفسير الطبري، ٥/١٦١؛ التحرير والتنوير، ٥/١١٤؛ تفسير ابن عطية، ٤/١٢٣؛ الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥)، ص: ٣٠٢.

(٣٢) انظر الحجة للقراء السبعة، ٣/١٦٨–١٦٩؛ الحجة لابن خالويه، ص: ١٢٤–١٢٥.

الفارسي. ولا نرضى ما ذهب إليه بعض المفسرين من ترجيح وجه على آخر في القراءات المتواترة.(٣٣)

٦. الواو في كلمة (ويقول) في قوله تعالى من سورة المائدة/٥٣:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾

قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر: (يقول) بغير واو بمعنى الاستئناف البياني، وهي مرسومة هكذا في مصاحفهم (مكة والمدينة والشام)، وقرأ الباقون: (ويقول) بالواو، وكذا هي في مصاحفهم، وقرأ منهم البصريان -أبو عمرو بن العلاء ويعقوب- بنصب اللام (ويقولَ) عطفاً على (فيصبحوا)، والباقون من القراء برفع الراء.(٣٤)

وما قلناه سابقاً عن مثل هذه الكلمات يقال هنا -أيضاً- مع شيء من الاختلاف، فقبل هذه الآية جاء قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ المائدة: ٥١-٥٣.

فمن قرأ بدون واو فعلى تقدير أنه حين يأتي الله بالفتح، وهو فتح مكة أو أي فتح، أو أمر من عنده سبحانه تنكشف فيه أسرار هؤلاء المنافقين، فحينئذ يقول الذين آمنوا أهؤلاء...، فهي استئناف بياني، جواب لسؤال من يسأل: ماذا يقول المؤمنون عندئذ؟ فيجيء الجواب: يقول الذين آمنوا....

وأما من قرأ بالواو والنصب (ويقولَ) فهو رد على قوله تعالى: "فعسى الله أن يأتي بالفتح" وأن يقول الذين آمنوا، فهو معطوف على محل المنصوب

---

(٣٣) كما فعل الشوكاني، انظر فتح القدير، ١/ ٥٧٥.

(٣٤) انظر القراءات والتوجيه في السبعة، ص: ٢٤٥؛ التيسير، ص: ٩٩؛ حجة القراءات، ص: ٢٢٩-٢٣٠؛ النشر، ٢/ ٢٥٤-٢٥٥؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٦٤.

بأن. وأما من قرأ بالواو والرفع فعلى معنى الاستئناف لكلام جديد، إذ أن قولهم منقطع عن قوله تعالى (فعسى الله)، وبين الجملتين اختلاف ما بين خبرية وإنشائية، فجملة (ويقول الذين آمنوا) خبرية، بينما جملة (فعسى الله) إنشائية، وفيما يتعلق برفع (يقول) فعلى الأصل من رفع الفعل المضارع.(٣٥)

وجوّز ابن زنجلة وجهاً آخر لهذه القراءة بأن تكون جملة (ويقولُ..) مردودة على قوله تعالى (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم)، أي: وترى الذين آمنوا يقولون: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم.(٣٦)

٧. كلمة (يرتد) في قوله تعالى من سورة المائدة/٥٤:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ﴾

قرأ المدنيان وابن عامر: (يرتدد) بدالين، الأولى مكسورة والثانية مجزومة، كما هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بدال واحدة مفتوحة مشددة نتيجة للإدغام، وكذا هي في مصاحفهم.(٣٧)

والظاهر أنهما لهجتان في الإظهار والإدغام، ويقول ابن زنجلة بأن من قرأ بدالين فحجته إجماع الجميع في سورة البقرة/٢١٧: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾. ويقول -أيضاً-: بأن الإظهار لغة أهل الحجاز وهو الأصل، وهذا الكلام لا يعمم، فقراءة ابن كثير هي بدال واحدة، وهو حجازي، وهي مرسومة هكذا في مصحف مكة، وقراءة ابن عامر بدالين وهو شامي، ولو كان هذا الكلام

---

(٣٥) انظر الحجة للقراء السبعة، ٣/٢٢٩-٢٣٢؛ حجة القراءات، ص: ٢٢٩؛ الحجة لابن خالويه، ص: ١٣١-١٣٢؛ تفسير الطبري، ٦/٢٨٠-٢٨١؛ التحرير والتنوير، ٦/ ٢٣٣.

(٣٦) انظر حجة القراءات، ص: ٢٢٩-٢٣٠.

(٣٧) انظر كتاب السبعة، ص: ٢٤٥؛ النشر، ٢/٢٥٥؛ ويشير ابن الجزري إلى اتفاق القراء على قراءة (يرتدد) في سورة البقرة/٢١٧، أنه بدالين لإجماع المصاحف عليه. وانظر أيضاً: التيسير، ص: ٩٩؛ حجة القراءات، ص: ٢٣٠؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٦٤.

دقيقاً لكان رسم الكلمة بدالين في مصحفي مكة والمدينة بدل المدينة والشام مراعاة لأصل لغتهم، إلا إذا قصد ابن زنجلة أصل اللهجة عند أهل الحجاز.[٣٨]

وذهب أبو علي الفارسي، إلى أن من لم يدغم فقد ذهب إلى أن الحرف المدغم لا يكون إلا ساكناً، وإذا سكنّاه فلا يدغم الساكن في ساكن لالتقاء الساكنين، وأن هذه لغة أهل الحجاز[٣٩]، أما ابن خالويه فقد ذكر أن "من أظهر فقد أتى بالكلام على الأصل ورغّب في الثواب، إذ كان له بكل حرف عشر حسنات"[٤٠]، وهذا الكلام يوحي بأن القراء تصرفوا في القراءة من تلقاء أنفسهم.

وذهب ابن الجزري إلى أن الأمر مرتبط بطول السورة أو قصرها، أي أن هذه الكلمة جاءت في البقرة بدالين، وذلك "لأن طول سورة البقرة يقتضي الإطناب وزيادة الحرف من ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: "ومن يشاقق الله ورسوله" في الأنفال كيف أجمع على فك إدغامه، وقوله "ومن يشاقّ الله" في الحشر كيف أجمع على إدغامه، وذلك لتقارب المقامين من الإطناب والإيجاز، والله أعلم".[٤١] فهذا الكلام بعيد في توجيه القراءة.

ولعل الأوْلى قوله: إن هذه الكلمة في أصلها هي (يرتدِدُ)، والإدغام فيها ممكن؛ لأنه من نوع المتماثلين الكبير (ما تحرك فيه الحرفان)، وبعد الإدغام تصبح: (يرتدُّ)، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ﴾، (إبراهيم/٤٣)، وقوله: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ﴾، (النمل/٤٠)، ونتيجة لهذا الإدغام فإن الحرف الأول يسكن، وهذا هو الحال في كل حرف مشدد.

---

(٣٨) انظر كلامه في حجة القراءات، ص: ٢٣٠. وقد وجدت تعارضاً بين أقوال العلماء في هذا الشأن، فبينما يذهب ابن زنجلة وأبو علي الفارسي إلى أن لغة الحجاز هي الإظهار، وأن الإدغام لغة تميم (وهو الصواب)، وجدت الشوكاني في الطرف الآخر يذكر العكس، انظر فتح القدير، ٢/٥٤.

(٣٩) انظر كلامه في الحجة للقراء السبعة، ٣/٢٣٢-٢٣٣.

(٤٠) الحجة لابن خالويه، ص: ١٣٢.

(٤١) النشر، ٢/٢٥٥.

أما كونها هنا في المائدة منصوبة (يرتدَّ)، فلأن الفعل مجزوم بمَن، وحركته حينئذ السكون، وهنا لا يصح أن يتوالى ساكنان (الدال الأولى والدال الثانية المجزومة بـ: مَن) فحُرِّك الثاني بالفتحة.(٤٢)

٨. كلمة (وللدّار) في قوله تعالى من سورة الأنعام:

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قرأ ابن عامر: (ولدَارُ الآخرةِ) بلام واحدة وتخفيف الدال وخفض كسر– التاء في الآخرة على الإضافة، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون (وللدّارُ الآخرةُ) بلامين مع تشديد الدال للإدغام وبرفع تاء الآخرة على النعت، وكذا هي في مصاحفهم.(٤٣)

وذكر ابن زنجلة أن حجة ابن عامر في قراءته هي "إجماع الجميع على قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾، (الآية/١٠٩)، بلام واحدة، فرد ابن عامر ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه"(٤٤)، ولا يفهم من هذا الكلام أن ابن عامر تصرف من تلقاء نفسه، فليس له علاقة بالقراءة إلا الأداء، فلا شأن له بكيفية كتابتها في المصحف المرسل إلى الشام، فهي قراءة متواترة لا بد من القراءة بها وكتابتها في أي من المصاحف التي أرسلت إلى الأمصار، كما سبق وأشرنا في التمهيد.

---

(٤٢) انظر حجة القراءات، ص: ٢٣٠؛ الحجة للقراء السبعة، ٣/٢٣٣؛ التحرير والتنوير، ٦/٢٣٥.

(٤٣) انظر كتاب السبعة، ص: ٢٥٦؛ النشر، ٢/٢٥٧، وأضاف ابن الجزري بأن لا خلاف بين القراء في حرف يوسف، أي في قوله تعالى: "ولدار الآخرة خير للذين اتقوا"، (يوسف/١٠٩) أنه بلام واحدة؛ لاتفاق المصاحف عليه. وهذا دليل واضح أن القراءة هي بالتلقي لا بالرأي، وإلا لتشابه الموضعان في القراءة والرسم. وانظر أيضاً: التيسير، ص: ١٠٢؛ حجة القراءات، ص: ٢٤٦؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٦٧.

(٤٤) حجة القراءات، ص/٢٤٦. وهناك – أيضاً – كلام لأبي علي الفارسي مما يندرج في نفس السياق، انظر الحجة، ٣/٣٠١.

فالقراءتان مفهومتان من حيث التوجيه النحوي لهما، فدارُ أو الدارُ مبتدأ، وعلى قراءة (ولدار الآخرة) تكون اللام للابتداء، و(الآخرة) مضافاً إليه، عرفت كلمة (دار) فجاز الابتداء بها. وعلى القراءة الأخرى تكون اللام الأولى للابتداء والثانية للتعريف، وتكون (الآخرة) صفة للدار، والخبر على الوجهين هو (خيرٌ).[٤٥]

أما من حيث المعنى المترتب على اختلاف القراءتين، فلا بد من النظر إلى السياق، فالآيات قبل هذه تحدثت عن موقف المشركين من اليوم الآخر، وما توعدهم الله به من المصير المحتوم من الحساب والعذاب، وما يكون عليه أمرهم من الحسرة وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، ثم يقول الله تعالى: "وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو، وللدار الآخرة خير..."، فخلاصة المسألة أن الله لما ذكر الدنيا وأنها لعب ولهو، ذكر الدار الآخرة، وأنها خير للذين اتقوا، ولا بد من إعمال العقول لتمييز الخير الباقي من المتاع الفاني، وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب وأبو جعفر: "أفلا تعقلون" بالخطاب، وقرأ الباقون: "أفلا يعقلون" بالغيبة.

فقراءة (وللدار الآخرة) هي – هنا – في مقابل الحياة الدنيا، فذكرها الله باسم الدار، ووصفها بالآخرة لتأخرها عن الدنيا، وأخبر أنها خير للذين يتقون، هكذا خير، بلا تحديد، ليشمل التفضيل كل ما يخطر في البال، فنلحظ بأن التركيز هو على الدار.

وأما قراءة (ولدار الآخرة) فهي في عمومها مقابل الحياة الدنيا أيضاً، ولكن كلمة دار في أصلها نكرة، وعرفت بإضافتها إلى الآخرة، وهذا تعظيم لها، ونلحظ بأن التركيز هو على الآخرة، إذ بدونها لا معنى لكلمة (دار)، وفي غالب أقوالنا لا نقول الدار الدنيا، بل نقول الدنيا، ولا نقول الدار الآخرة، بل نقول

---

(٤٥) انظر الفخر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، ١٩٩٣)؛ تفسير ابن عطية، ٥/١٧٩؛ التحرير والتنوير، ٧/١٩٥.

الآخرة، فكأن هذه القراءة تركز على الآخرة، ليحصلها الإنسان المؤمن، فلا يلهو ولا يلعب، بل يجتهد ويُعمل عقله فيما هو نعيم باق وحياة حقيقية.

وبهذا نلحظ كيف حشدت القراءتان كل ما ينبغي للعقلاء لفت النظر إليه والاهتمام فيه، فليست هي الحياة الدنيا، فهي لعب ولهو، إنما هي دار الآخرة، أو الدار الآخرة، وهي كما وصفها الله في آية أخرى بأنها الحيوان(٤٦)، أي الحياة الحقيقية.

٩. كلمة (أنجانا) في قوله تعالى من سورة الأنعام:

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

قرأ الكوفيون: عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: (أنجانا) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا تاء، وكذا هي في مصاحفهم، وهي هنا على الغيبة، وقرأ الباقون: (أنجيتنا) بالياء والتاء من غير ألف، وكذا هي في مصاحفهم، وهي هنا على الخطاب لله تعالى.(٤٧)

وواضح من الآية أن قراءة (أنجانا) متفقة مع ضميري الغيبة المخبرين عن الله تعالى في هذه الآية، وذلك في (من ينجيكم) و(تدعونه)، وأيضاً مع ما جاء في الآية بعدها، وهو قوله تعالى: "قل الله ينجيكم"، "قل هو القادر"، فناسب مجيء (أنجانا) على النسق نفسه.

أما في قراءة (أنجيتنا) فتفيد الخطاب، وهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب منبيء عن شدة ما هم فيه من ضيق حال، وشدة كرب، فدعاؤهم كان خطاباً لله باستحضار عظمته وقربه سبحانه.

---

(٤٦) كما قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت/ ٦٤).

(٤٧) انظر كتاب السبعة، ص: ٢٥٩؛ التيسير، ص: ١٠٣؛ حجة القراءات، ص: ٢٥٥؛ الحجة لابن خالويه، ص: ١٤١-١٤٢؛ النشر، ٢/ ٢٥٩؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٦٩.

وبهذا ندرك الفرق بين هذا الموضع من سورة الأنعام، والموضع الآخر لكلمة أنجيتنا في سورة يونس/٢٢: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾، وقد قرأ القراء كلهم (أنجيتنا) لأنها على الخطاب، فقد سبقها (دعوا الله).

وبهذا يتبين لنا جمال ما تفيده القراءتان حين تحشدان أحوال المضطرين لرحمة الله في الكرب العظيم. أما من رجح من العلماء قراءة (لئن أنجيتنا) قياساً على آية سورة يونس وهي قوله تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾، (الآية/٢٢)[٤٨]، فلا يقدح بتواتر أي من القراءتين.

١٠. كلمة (شركاؤهم) في قوله تعالى من سورة الأنعام:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

قرأ ابن عامر: (شركائهم) بهمزة مكسورة، وقرأ أيضاً: (زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم) بضم الزاي وكسر الياء من (زُيِّن) على أنها مبنية للمفعول، ورفع لام (قتلُ) على أنها نائب فاعل، ونصب دال (أولادَهم) على أنها مفعول به، فتكون (شركائهم) مخفوضة بإضافة (قتل) إليها، كما في مصاحف الشام. وقرأ الباقون (زَيَّن) بفتح الزاي والياء على أنها فعل مبني للفاعل، (قتلَ) بنصب اللام على أنها مفعول به وهو مضاف، (أولادِهم) بخفض الدال على أنها مضاف إليه، (شركاؤهم) برفع الهمزة على أنها فاعل الفعل (زين)، كما في مصاحفهم.

---

(٤٨) قال بالترجيح أبو علي الفارسي، انظر الحجة، ٣/٣٢٣. أما ابن زنجلة فذكر بأن حجة من قرأ (أنجيتنا) أنهم ردوا هذه القراءة على آية سورة يونس المجمع عليها، فردوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه.

وقد استطرد ابن الجزري وهو يتحدث عما اتُهم به ابن عامر في هذه القراءة، فهي هكذا مرسومة في مصحف الشام، ونص ابن الجزري أنه رأى الكلمة مكتوبة بالياء، وهكذا تلقى ابن عامر القراءة عن شيوخه من الصحابة الكرام الذين تلقوها عن النبي ﷺ، فليس شيء منها بالتشهي، إنما بالاتباع. ويرد ابن الجزري على كل من الطبري والزمخشري وغيرهما ممن أنكر أن يفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول، وأن ذلك كلام فصيح.(٤٩) وانتصر –أيضاً– لهذه القراءة عدد كبير من العلماء، وقال ابن عاشور بأن المفعول هنا ليس أجنبياً عن المضاف والمضاف إليه.(٥٠)

والطبري هو من أوائل من انتقد هذه القراءة حين قال: إن هذا الفصل في كلام العرب قبيح غير فصيح، واسترسل قائلاً: "والقراءة التي لا أستجيز غيرها (وكذلك زَيَّن)، لإجماع الحجة من القراء عليه"(٥١)، وذكر ابن خالويه وأبو علي الفارسي عن قراءة ابن عامر هذه بأن هذا الموضع في الفصل قبيح في القرآن، وإنما يجوز في الشعر، ثم قال ابن خالويه: "وإنما حمل القارئ بهذا عليه أنه وجده في مصاحف أهل الشام بالياء فاتبع الخط"(٥٢)، وقال الفارسي: "وهذا قبيح قليل في الاستعمال، ولو عدل عنها إلى غيرها كان أولى"(٥٣)، فهذا الكلام يبين وكأن القوم كانوا محرجين في شأن هذه القراءة،

---

(٤٩) انظر النشر، ٢/٢٦٣–٢٦٥. وانظر –أيضاً– السبعة، ص: ٢٧٠؛ التيسير، ص: ١٠٧؛ حجة القراءات، ص: ٢٧٣–٢٧٤؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٧٤–١٧٥.

(٥٠) انظر التحرير والتنوير، ٨/١٠٢، ورد على الزمخشري ص: ١٠٣. وانظر الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٠)، ١/٣٥٧ فذكر القراءتين وحسنهما.

(٥١) تفسير الطبري، ٨/٤٤.

(٥٢) الحجة لابن خالويه، ص: ١٥١، وقد نقل الرازي كلامه هذا في تفسيره مفاتيح الغيب، ٦/٥٩٤.

(٥٣) الحجة للقراء السبعة، ٣/٤١١، ونقل ابن عطية كلامه هذا في تفسيره: المحرر الوجيز، ٥/٣٥٩.

وكأن ابن عامر كان يقرأ باجتهاده، ولولا أنها مرسومة هكذا لغيروها، فهذا كلام عجيب، فهي قراءة متواترة فصيحة قرأ بها النبي ﷺ.

وأعجب أيضاً من الشوكاني وهو من المتأخرين، حين تحدث عن التواتر في قراءة ابن عامر، قال: "وأقول: دعوى التواتر باطلة بإجماع القراء المعتبرين كما بينا ذلك في رسالة مستقلة، فمن قرأ بما يخالف الوجه النحوي فقراءته رد عليه، ولا يصح الاستدلال لصحة هذه القراءة بما ورد من الفصل في النظم.. وكقول الشاعر.، فإن ضرورة الشعر لا يقاس عليها"(٥٤)، وردنا عليه – أيضاً – أنها قراءة متواترة متفق على صحتها، ولماذا يسقط الشوكاني ابنَ عامر من أن يكون من القراء المعتبرين كما يوحي كلامه بذلك!؟

وقبل أن نتحدث في شأن هاتين القراءتين نلفت النظر إلى سياق هذه الآية، فهو الحديث عن عقيدة المشركين وضلالاتهم وجهالتهم في موضوع الأنعام، وما كانوا يشركون به أصنامهم من الأنعام، وما يحلونه وما يحرمونه، وما فعلوه من قتل البنات بالوأد سفهاً، وفي الوقت نفسه حرموا على أنفسهم بعض ما رزقهم الله من الأنعام، وللشيطان النصيب الأكبر من هذا الإضلال والتزيين. فهنا نفهم القراءتين حق الفهم، ففي قراءة: (وكذلك زَيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم) يبين الله سبحانه أنه مثل ذلك التزيين الذي زينه الشيطان لهم في قسمة أموالهم بين الله وبين شركائهم، زين لهم قتل أولادهم، والشركاء هم الأصنام والشياطين وخدم الأصنام، على اختلاف الأقوال فيها، وقتل الأولاد هنا مقصود منه وأد البنات ونحر الأبناء مخافة السبي والحاجة، وكان الرجل يحلف بالله لئن ولد له كذا من الذكور لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب، وبين الله علة ذلك التزيين، فقال: (ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم)، أي من أجل إهلاكهم وخلط دينهم عليهم.

---

(٥٤) فتح القدير، ٢/١٧٢. وكما لاحظنا فقد جعل الشوكاني موافقة الوجه النحوي هو الأصل في الحكم على القراءة بعد أن بين عدم تواترها، ولا نجده يفعل ذلك عند قوله تعالى: "إنّ هذان لساحران"، طه/٦٣، وهي قراءة الجمهور من القراء.

ففي قراءة الجمهور كان التركيز على فعلة هؤلاء الشركاء من التزيين بالقتل، فهو إظهار لدور الشركاء من قبيح أفعالهم، فالشركاء هم فاعلو التزيين ومسببوه، وهو أمر خطير أن تزهق النفس الإنسانية مقابل تصورات ضالة واعتقادات جاهلة أسهم الشركاء في تزيينها، ومعنى الجملة: (زَيَّنَ الشركاءُ لكثير من المشركين قتلَ أولادهم)، فالشركاء هم فاعلو التزيين، والمشركون هم فاعلوا القتل.

أما في قراءة (وكذلك زُيِّنَ لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم) فهو التركيز على التزيين دون تسمية فاعله، هل هو الهوى والضلال، أو الشيطان، أو غير ذلك، فالمهم هو التزيين بالقتل، هذا الأمر العظيم. وبالنسبة لفاعل القتل فهم الشركاء، فقد زُيِّنَ قتلُ شركاء المشركين لأولاد المشركين، فأسند القتل للشركاء على أن القتل هو المُزَيَّن للمشركين فلا يمنعونه بل يرضون به، فتكون الجملة (زَيَّنَ شيءٌ ما للمشركين قتلَ الشركاء لأولادهم).(٥٥)

وبهذا يتضح أمر القراءتين وسبب القراءة بهما، فقد حشدتا كل ما من شأنه أن ينفر من فعل التزيين بالباطل وقتل الأولاد سفهاً بغير علم، وبينتا دور الشركاء في التزيين تارة والقتل تارة أخرى، وقبحَ دور المشركين وسفاهة شأنهم حين غُرروا بقتل أبنائهم تارة، أو بأن يرضوا بقتلهم تارة أخرى، كل ذلك من أجل معتقدات باطلة، فهم أصحاب العلاقة المباشرة بأولادهم، والأصل رعايتهم لا قتلهم. فمن الملاحظ أن هذه المعاني لم تكن لتعرف لولا وجود القراءتين معاً، وهذا من إعجاز القرآن.

---

(٥٥) انظر الحجة للقراء السبعة، ٣/٤١٠. ومثال هذا المعنى قوله تعالى: "ولولا دفْعُ (دِفاعُ) اللهِ الناسَ"، (البقرة/٢٥١؛ الحج/٤٠)، فالله هو الفاعل، والناس مفعول به. وقد بين ابن عاشور أن إسناد القتل إلى الشركاء على قراءة ابن عامر هو على طريقة المجاز العقلي، إما لأن الشركاء سبب القتل إذا كان القتل قرباناً للأصنام، وإما لأن الذين شرّعوا لهم القتل هم القائمون بديانة الشرك، انظر التحرير والتنوير، ٨/ ١٠٢.

١١. كلمة (تذكرون) في قوله تعالى من سورة الأعراف:

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

قرأ ابن عامر: (يتذكرون) بياء قبل التاء على الغيبة، وكذا هي في مصاحف أهل الشام، مع تخفيف الذال. وقرأ الباقون: (تذكرون) بتاء واحدة من غير ياء قبلها على الخطاب، كما هي في مصاحفهم، وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف الذال، بينما شددها الباقون.(٥٦)

ولا نريد التركيز على قراءة من خفف الذال أو شددها ممن قرأ بدون الياء، ولكن ما يعنينا – هنا – هو قراءة ابن عامر (يتذكرون). والأمر في غاية الوضوح، فقراءة (تذكرون) بالتاء مع تخفيف الذال أو تشديدها– تفيد الخطاب، وهو هنا للمشركين، فقد قال الله لهم: اتبعوا ما أُنزلَ إليكم من ربكم...، ثم قال: قليلاً ما تذكرون، بمعنى: قليل تذكركم، فالمسألة ليست بحاجة إلى أكثر من أن تتذكروا أحوال من قبلكم وما أرسل فيهم من رسل، دليل ذلك ما جاء بعد هذه الآية وهو قوله تعالى: "وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون..."، فهو لفت نظر لهم أو تهديد بأن يتذكروا ويراجعوا أحوال الأمم قبلهم وما حل بهم، والسورة في معظمها قصص.

أما قراءة ابن عامر فتفيد الغيبة بوصف حالهم، وهذا بحد ذاته خطاب للرسول ﷺ بأنه قليلٌ تذكرُهم(٥٧)، فهنا التفات من الخطاب إلى الغيبة، والمعنى أن الله أعرض عنهم ووجه الكلام إلى غيرهم من السامعين، إلى النبي ﷺ والمسلمين.(٥٨) وهذا رد للحديث إلى مطلع السورة حيث قال تعالى: "كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين"، فهي تهيئة

---

(٥٦) انظر كتاب السبعة، ص: ٢٧٨؛ التيسير، ص: ١٠٩؛ حجة القراءات، ص: ٢٧٩؛ النشر، ٢/٢٦٧؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٧٧.

(٥٧) انظر الحجة للقراء السبعة، ٤/٦.

(٥٨) انظر التحرير والتنوير، ٨/القسم الثاني/١٧.

للنبي ﷺ بأن لا يبقى في صدره ضيق من هذا القرآن أن يبلغه إلى الناس مخافة أن يكذبوه أو يؤذوه[٥٩]، فحال القوم هو أنه قليل تذكرهم كي يتبع الأساليب التي لعلها تنفع في دعوتهم، فليس حالهم كحال المؤمنين في التذكر. وبهذا نلحظ الفرق بين القراءتين وما أضافته كل قراءة من معنى آخر.

١٢. الواو في كلمة (وما) في قوله تعالى من سورة الأعراف/٤٣:

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ﴾

قرأ ابن عامر: (ما كنا) بغير واو قبل (ما)، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وهي – هنا – على الاستئناف، وقرأ الباقون: (وما كنا) بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم، وهي هنا على العطف.[٦٠]

فعلى قراءة (وما كنا) تكون الجملة إما عطفاً على سابقتها، فيكون المؤمنون قد قالوا قولين هما: حمدهم الله أن هداهم لهذا النعيم، واعترافهم بأن هذا لم يكن لولا هداية الله وتوفيقه. وإما أن تكون الجملة حالية، فالواو للحال، بمعنى أنهم قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا حال بُعدنا عن الاهتداء. وكلا الوجهين جميل مقبول.

أما على قراءة حذف الواو فبالنظر إلى أن بين الجملتين شبه كمال اتصال، فالجملة الثانية شديدة الارتباط بالأولى[٦١]، فكأنها تعليل للحمد جواب على سؤال نشأ نحو: ماذا عملتم حتى دخلتم الجنة؟ أو كيف اهتديتم لهذا؟ فأجابوا: ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ففصل بين الجملتين كما يفصل الجواب عن

---

(٥٩) انظر في تفسير الآيات فتح القدير، ٢/١٩٤–١٩٥.

(٦٠) انظر كتاب السبعة، ص: ٢٨٠؛ التيسير، ص: ١١٠؛ النشر، ٢/٢٦٩؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٧٧.

(٦١) وقد عبر أبو علي الفارسي عن ذلك بقوله: إن الجملة ملتبسة بما قبلها، فأغنى التباسها عن حرف العطف، انظر الحجة للقراء السبعة، ٤/٢٥. وانظر أيضاً تفسير الرازي، ٨/٧٤؛ تفسير ابن عطية، ٥/٥٠٧؛ التحرير والتنوير، ٨/١٣٣.

السؤال. ولا يخفى أن في الاستفهام عن الشيء تعظيماً له، وهذا ما أفادته هذه القراءة.

١٣. الواو في كلمة (قال) في قوله تعالى من سورة الأعراف/ ٧٥:

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾

قرأ ابن عامر: (وقال) بزيادة واو قبل (قال) على العطف، وكذلك هي في المصاحف الشامية. وقرأ الباقون: (قال) بغير واو، وكذلك هي في مصاحفهم، وهي هنا على الاستئناف.(٦٢)

فالآيات السابقة تتحدث عن قصة صالح ﷺ مع قومه، ومن أول القصة والحديث له ﷺ، إلى أن قال الملأ ما قالوا. فقراءة (قالوا) على أن هذا استئناف لكلام جديد، فبين كلامه وردهم ترابط قوي، فقد جاء قولهم جواباً عن سؤال يفهم من الجمل السابقة، فكأن سائلاً سأل: فماذا قال الملأ من قومه لما سمعوا كلامه؟ فالجواب: قالوا...، وعبر ابن عاشور عن هذا بقوله: "جرياً على طريقة أمثاله في حكاية المحاورات"(٦٣)، ويدل على هذا مجيء لفظ (قال) بعدها بدون واو (قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون)، لأنه حوار، أما بعد ذلك فقد جاء اللفظ بالواو عطفاً، فجاء (فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا)، (فتولى عنهم وقال)، فالعطف فيها واضح.

وأما في قراءة (وقال) فالعطف هنا بعيد، إذ أن هذا الكلام للملأ بينما الكلام السابق لصالح ﷺ، فالواو على نية استئناف كلام جديد، فكأن كلام صالح ﷺ لم يعجبهم، فأرادوا تحويل مجرى الحديث إلى أمر آخر، (وقال الملأ الذين استكبروا)، أو أن نقدر محذوفاً يفهم من السياق، كأن نقول: فآمن به بعض القوم، وقال الملأ.(٦٤)

---

(٦٢) النشر، ٢/ ٢٧٠. وانظر أيضاً: السبعة، ص: ٢٨٤؛ التيسير، ص: ١١١؛ حجة القراءات، ص: ٢٨٧؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٧٩.

(٦٣) التحرير والتنوير، ٨/ ٢٢٤.

(٦٤) وقد ذكر هذا الثاني ابن عاشور في التحرير والتنوير، ٨/ ٢٢٤.

١٤. كلمة (أنجيناكم) في قوله تعالى من سورة الأعراف/ ١٤١:

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾

قرأ ابن عامر: (أنجاكم) بألف بعد الجيم من غير ياء ولا نون، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، وقرأ الباقون: (أنجيناكم) بياء ونون وألف بعدها، وكذلك هي في مصاحفهم.(٦٥)

وحتى نفهم الوجهين فلا بد من النظر في السياق، فهو يتحدث عن بني إسرائيل، فيما امتن الله به عليهم، وقد جاء الحديث تارة منسوباً إلى الحق سبحانه وتعالى، وتارة إلى رسولهم موسى ﷺ. فعلى قراءة (أنجيناكم) فهو من إخبار الله تعالى عن نفسه بنون العظمة، وقد سبق في السياق مثله وهو قوله تعالى: "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر.."، وقراءة (أنجاكم) على أنه من إخبار موسى ﷺ عن الله، فالفاعل ضمير مستتر يعود عليه سبحانه.(٦٦)

ولعل في القراءة الأولى ما يدل على ما يجب على القوم من حق تجاه الله تعالى، من شكر لنعمه الكثيرة عليهم، وفي القراءة الثانية ما يبين دور رسولهم وما عاناه في سبيل نصحهم وإرشادهم. فكل قراءة بينت ما لم تبينه القراءة الأخرى.

١٥. كلمة (من) في قوله تعالى: (تجري تحتها) إثباتاً ونفياً، وهي في قوله تعالى من سورة التوبة:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ

---

(٦٥) انظر النشر، ٢/ ٢٧١، ويتعجب ابن الجزري في هذا الموضع من أن أبا بكر بن مجاهد لم يذكر هذا الحرف في كتابه (السبعة)، وقد رجعت إلى كتاب السبعة ووجدتها مذكورة ص: ٢٩٣، وقد ذكرها المحقق بين حاصرتين [] ليرمز إلى ما سقط من نسخة الأصل، وهي زيادة من نسخة أخرى، ولم يبين ابن مجاهد اختلاف الرسم فيها. وانظر أيضاً: التيسير، ص: ١١٣؛ حجة القراءات، ص: ٢٩٤؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٨٠.

(٦٦) الحجة لابن خالويه، ص: ١٦٢–١٦٣. وانظر التحرير والتنوير، ٩/ ٨٤، وذكر احتمال أن يكون الخطاب موجهاً لليهود زمن محمد ﷺ.

رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

قرأ ابن كثير: (تجري من تحتها) بزيادة كلمة من، وخفض تاء (تحتِها) الثانية، وكذلك هي في المصاحف المكية، وقرأ الباقون بحذف لفظ (من) وفتح التاء على الظرفية، وكذلك هي في مصاحفهم.(٦٧)

وهذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي جاءت فيه القراءة دون من، وذلك في قراءة الجمهور، ولعل التوجيه النحوي واضح فيما ذكر أعلاه، ولكن الذي نركز عليه هو توجيه المعنى على القراءتين.

أما من حيث السياق فالآيات قبلها عن المنافقين وحججهم واعتذاراتهم القبيحة وحلفهم، ثم الحديث عن الأعراب وهم صنفان: الأشد كفراً ونفاقاً والأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، والمؤمنون بالله واليوم الآخر، والمنفقون في سبيل الله، وهؤلاء سيدخلهم الله في رحمته، ثم تأتي هذه الآية عن السابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهم الذين أبلوا البلاء الحسن في خدمة الإسلام، وضحوا بكل ما عندهم، فاستحقوا رضوان الله ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً، ذلك الفوز العظيم.

فمن خلال السياق نلحظ ما تميز به هؤلاء السابقون، فكان لا بد من تمييز ما خصهم الله به من النعيم يوم القيامة، فعلاوة على الرضا الجنات، ووصفها في القراءتين بوصفين، ففي قراءة (تجري من تحتها) فالماء يسير من تحتها دون الإشارة إلى مكان نبعه، فهو وصف لروعة هذه الجنات. أما على قراءة (تجري تحتها الأنهار) فالماء ينبع تحتها، فهي أعلى الجنات. فأفادت هذه

(٦٧) انظر كتاب السبعة، ص: ٣١٧؛ التيسير، ص: ١١٩؛ حجة القراءات، ص: ٣٢٢؛ النشر، ٢/ ٢٨٠؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٨٨.

القراءة علو منزلة الجنة التي أعدها الله للسابقين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، نسأل الله أن نكون منهم.

وقال ابن عاشور بأن القراءة بدون (من) فهي خالية من التأكيد، إذ ليس لحرف (من) معنى مع أسماء الظروف إلا التأكيد، ويكون خلو الجملة من التأكيد لحصول ما يغني عنه من إفادة التقوّي، بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، ومن فعل (أعد) المؤذن بكمال العناية، فلا يكون المُعَدُّ إلا أكمل نوعه، وبثبوت (من) في القراءة الأخرى فتكون مشتملة على زيادة مؤكدين.(٦٨)

١٦. الواو في كلمة (والذين) في قوله تعالى من سورة التوبة/١٠٧:

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

قرأ المدنيان وابن عامر: (الذين) بغير واو على الاستئناف، وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون: (والذين) بالواو على العطف، وكذا هي في مصاحفهم.(٦٩)

والذي نقوله هنا هو قريب مما قلناه عن مثيلاتها، فالسياق قبلها تحدث عن أصناف من المنافقين والأعراب، فقد ذكر الله: "وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق..."، وذكر: "وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.."، أي ومنهم آخرون، وذكر أيضاً: "وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم"، أي ومنهم آخرون، ثم تأتي هذه الآية "والذين اتخذوا مسجداً ضراراً.."، فالقراءة بالواو على العطف على ما ذكر الله من أصناف الناس من المنافقين وأشباههم على تقدير: ومنهم الذين اتخذوا. وأما القراءة بدون واو فعلى أنها استئناف ابتدائي للتنبيه على الاختلاف بين حال المراد بها وحال المراد بالجملة السابقة

---

(٦٨) التحرير والتنوير، ١١/١٩.

(٦٩) انظر كتاب السبعة، ص: ٣١٨؛ التيسير، ص: ١١٩؛ حجة القراءات، ص: ٣٢٣؛ النشر، ٢/٢٨١؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ١٨٨.

وهم المرجون لأمر الله. فثمة فرق بينهما.[٧٠] فكلتا القراءتين تبين أخباراً زائدة عن المنافقين، إما بتفصيل حالهم ومكائدهم، أو بتعدد أصنافهم.

١٧. كلمة (يسيركم) في قوله تعالى من سورة يونس/٢٢:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾

فقد قرأ ابن عامر وأبو جعفر: (ينْشُرُكم) من النشر الذي هو البث والإحياء، وقرأ الباقون: (يُسَيِّرُكُم) من التسيير.[٧١]

وممن ذكر اختلاف الرسم فيها من القدماء أبو عبيد وابن أبي داود والداني وابن الجزري، فيقول ابن الجزري: إنها كتبت في مصاحف أهل الشام وغيرها بفتح الياء ونون ساكنة بعدها شين معجمة مضمومة من النشر، وقرأ الباقون بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من التسيير، وكذلك هي في مصاحفهم، وقال الداني في المقنع: إنها في مصاحف أهل الشام بالنون والشين، وفي سائر المصاحف بالسين والياء.[٧٢] وقال صاحب لطائف البيان في رسم القرآن: "قريء (ينشركم) وقريء (يسيركم)، وكتب في مصحف الشاميين بتقديم الحرف المطول هكذا (ينشركم)، وفي مصاحف غيره بتأخير الحرف المطول هكذا (يسيركم)".[٧٣]

أما محيسن فلم يذكر اختلاف الرسم لا في كتابه (الهادي) ولا في كتابه (المهذب)، وإنما ذكره في كتابه (الفتح الرباني)، كما ذكره الجهني في كتابه (البديع).[٧٤]

---

(٧٠) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ١٧٩؛ تفسير ابن عطية، ٧/٢٩؛ فتح القدير، ٢/٤٢٠؛ التحرير والتنوير، ١١/٢٩.

(٧١) انظر كتاب السبعة، ص: ٣٢٥؛ التيسير، ص: ١٢١؛ الغاية، ص: ٢٧٥؛ حجة القراءات، ص: ٣٢٩؛ النشر، ٢/٢٨٢؛ الهادي، ٢/٢٩٥-٢٩٦؛ المهذب، ٢/٧.

(٧٢) انظر المراجع السابقة. وانظر كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد، ص: ١٩٨؛ المصاحف، ١/٢٦٩؛ المقنع، ص: ١٠٤.

(٧٣) لطائف البيان، ص: ١٠٩.

(٧٤) الفتح الرباني، ص: ٩٤؛ البديع، ص: ١٧٨.

أما عن توجيه القراءتين فلا أزيد على ما نقلناه أعلاه، فبين الكلمتين اختلاف واضح.[٧٥] ونلفت النظر هنا إلى أنه بناء على هذا الاختلاف في الرسم فقد خالف أبو جعفر المدني ما في مصحف المدينة، ولا يضر ذلك ما دامت القراءة متفقة مع رسم مصحف عثماني آخر.

١٨. كلمة (منها) في قوله تعالى من سورة الكهف/ ٣٦:

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر: (منهما) بميم بعد الهاء على التثنية، وكذلك هي في مصاحفهم، وهي كذلك لتوافق ما قبلها وهو قوله تعالى (جعلنا لأحدهما جنتين). وقرأ الباقون: (منها) بحذف الميم على الإفراد، وكذلك هي في مصاحفهم، وهي كذلك لتوافق ما قبلها وهو قوله تعالى (ودخل جنته).[٧٦]

وواضح من هذا التوجيه المبدئي موافقة كل قراءة لذكر ما قبلها، فالإفراد رد على جنته التي دخلها وحاله أنه ظالم لنفسه حين قال ما قال لصاحبه. والتثنية رد على الجنتين التين ذكرتا أول القصة.

والملفت للنظر هنا أن الله سبحانه ذكر في بداية القصة: "واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب..." ثم قال بعد ذلك: "ودخل جنته وهو ظالم لنفسه"، فذكر جنة واحدة، وقد بين المفسرون علة ذلك، ومما جاء في أقوال بعضهم: أنه لم يُدخل صاحبه إلا جنة واحدة، أو لكونهما لما اتصلتا كانتا كواحدة، أو أنه أدخله واحدة ثم واحدة[٧٧]، وبين بعض المفسرين أن

---

(٧٥) ولعل الأنسب أن ندرج هذا المثال ضمن ما اتفق رسمه واختلف معناه من القراءات العشر المتواترة، والأمر فيها كما هو في (تتلو–تبلو)، (عباد–عند)، (بشراً–نشراً) وغيرها، وهي إحدى عشرة كلمة جاءت في أربعة عشر موضعاً في القرآن.

(٧٦) انظر كتاب السبعة، ص: ٣٩٠؛ التيسير، ص: ١٤٣؛ الحجة للقراء السبعة، ٥/ ١٤٤؛ حجة القراءات، ص: ٤١٦؛ النشر، ٢/ ٣١٠–٣١١؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢١١.

(٧٧) انظر أبا السعود، محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (دار الفكر، بيروت)، ٣/ ٣٨٠؛ تفسير ابن عطية، ٧/ ٣١٠؛ فتح القدير، ٣/ ٢٩١.

المقصود كل ما هو جنة له يتمتع بها بناءً على أن الإضافة للاستغراق والعموم، فتفيد ما أفادته التثنية مع زيادة، وهي الإشارة إلى أنه لا جنة له غير ذلك، ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون.[٧٨] وكلها وجوه مقبولة، وبهذا يستقيم توجيه القراءتين.

١٩. كلمة (مكَّنّي) في قوله تعالى من سورة الكهف/٩٥:

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾

قرأ ابن كثير: (مكنني) بإظهار النون الأولى، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة. بينما قرأ الباقون: (مكَّنّي) بنون مدغمة مشددة، وهو من الإدغام الكبير.[٧٩]

والتوجيه – هنا – هو أن الإدغام للتخفيف، أما الإظهار فعلى الأصل، وهو اختلاف لهجات، فالنون الأولى هي نون الفعل (مكن)، والثانية زائدة لتسلم بنية الفعل على الفتح، والياء مفعول به، و(ما) في القراءتين بمعنى الذي، والمعنى: الذي مكنني (مكنّي) فيه ربي (أي بسطه الله لي من القدرة والملك) خير لي مما يجمعون لي من الخراج.[٨٠]

والملاحظ أن ثمة فرقاً بين رسم الكلمتين، هذا ما ثبتت به الرواية عند القراء، ولولا ذلك لقلنا: بأن الرسم واحد، وزيدت النون الثانية كما زيدت في كلمة (نجي) في سورة الأنبياء، وهي مرسومة بنون واحدة، بينما الأخرى مدرجة وصورتها هكذا:

---

(٧٨) انظر تفسير الرازي، ١٠/٣١٠؛ الآلوسي، محمود شكري، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨)، ١٥/٢٧٥، وهو قول الزمخشري.

(٧٩) انظر كتاب السبعة، ص: ٤٠٠؛ التيسير، ص: ١٤٦؛ حجة القراءات، ص: ٤٣٣–٤٣٤؛ النشر، ٢/٣١٥؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢١٤.

(٨٠) الحجة لابن خالويه، ص: ٢٣٢؛ حجة القراءات، ص: ٤٣٣–٤٣٤؛ الحجة للقراء السبعة، ٥/١٧٧.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن أربع مرات، ففي سورة يونس/١٠٣: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾، فقد رسمت كلمة (ننجي) بنونين، وفيها اختلاف قراءات، لكنهم كلهم قرأوا بنونين[٨١]، فرسمت كذلك، والكلمة الثانية (ننج) بنونين أيضاً، وفيها اختلاف قراءات، لكنها كلها بنونين[٨٢]، والموضع الثالث في سورة مريم/٧٢: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾، فرسمت كلمة (ننجي) بنونين، فبالرغم من اختلاف قراءتها إلا أن القراءات فيها بنونين[٨٣]، والكلمة الرابعة هي هذه التي في سورة الأنبياء المبينة أعلاه، فطريقة رسمها دليل على وجود اختلاف في قراءتها بنون أو نونين.[٨٤]

وأيضاً فهناك كلمة (فنجي) في سورة يوسف/١١٠، – ولم تأت في القرآن إلا في هذا الموضع – قد رسمت بنون واحدة، فكما يقول ابن الجزري: "أجمعت المصاحف على كتابته بنون واحدة"[٨٥]، هذا بالرغم من وجود قراءة أخرى فيها بنونين، فلم ترسم في بعض المصاحف بنونين[٨٦]، فمن قرأها بنونين قد أدرج النون الأخرى بالطريقة نفسها التي رسمت فيها كلمة (نجي) في سورة الأنبياء.

أما كلمة (مكني)، فإنه من الممكن أن ترسم هكذا وتزاد فيها النون الثانية

---

(٨١) قرأ أبو عمرو (نُنَجّي رُسْلَنا)، وقرأ يعقوب (نُنْجي رُسُلَنا)، وقرأ الباقون (نُنَجّي رُسُلَنا).

(٨٢) قرأ حفص والكسائي ويعقوب (نُنْجِ)، وقرأ الباقون (نُنَجِّ)، ووقف يعقوب بالياء، ووقف الباقون بحذفها، ولا خلاف في حذفها وصلاً للساكنين.

(٨٣) قرأ الكسائي ويعقوب (نُنْجي)، وقرأ الباقون (نُنَجّي).

(٨٤) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم (نُجّي)، وقرأ الباقون (ننجي).

(٨٥) النشر، ٢/٢٩٦.

(٨٦) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (فنُجّيَ)، ونلحظ أن أحدهم شامي والآخر كوفي والثالث بصري، وقرأ الباقون (فنُنْجي).

في قراءة ابن كثير، ولا نحتاج إلى القول بتغير الرسم، ولكننا نلتزم ما ذكره علماء القراءة والرسم في هذا.(٨٧)

٢٠. كلمة (أولم) في قوله تعالى من سورة الأنبياء/٣٠:

﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾

قرأ ابن كثير: (ألم) بغير واو، كما هي في مصحف مكة. وقرأ الباقون: (أولم) بواو، كما في مصاحفهم.(٨٨)

ويؤكد ابن عاشور قراءة ابن كثير هذه، فبعد نقله أن الواو لم تثبت في مصاحف أهل مكة يقول: "قلت معناه أنها لم تثبت في المصحف الذي أرسل به عثمان إلى مكة، فالتزم قراء مكة رواية عدم الواو إلى أن قرأ بها ابن كثير بلا واو- وأهملت غير قراءته".(٨٩)

ومن خلال السياق يتبين لنا أن الواو في قراءة (أولم) قد أفادت العطف على ما سبق، فالآيات قبلها تحدثت عمن قال: "اتخذ الله ولداً"، يعني الملائكة، وتحدثت عن طبيعتهم: "لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين، أولم ير..."،

---

(٨٧) ممن قال باختلاف رسمها: ابن أبي داود في كتاب المصاحف، ٢٦٩/١، إلا أنه نقل عن رجل اسمه مبشر أنها في مصاحف العراق بنونين، ويعقب ابن أبي داود بأنه لم يسمع أحداً يقول هذا غير مبشر؛ ابن مجاهد في كتابه السبعة، ص: ٤٠٠؛ أبو علي الفارسي في الحجة، ١٧٦/٥؛ الجهني في كتابه: البديع في رسم مصاحف عثمان، ص: ١٧٨؛ محمد سالم محيسن في الفتح الرباني، ص: ٩٨، مع أنه لم يذكر الكلمة أبداً في كتابه الهادي: شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، (دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٧).

(٨٨) انظر السبعة، ص: ٤٢٨؛ التيسير، ص: ١٥٥؛ حجة القراءات، ص: ٤٦٧؛ النشر، ٢/ ٣٢٣، ولم يعلق ابن الجزري على رسم الكلمة في المصاحف؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٢٢.

(٨٩) التحرير والتنوير، ٥٣/١٧.

فالآية شديدة الارتباط بما قبلها، لأنها رد عليهم بإنكار زعمهم هذا، فمن أبدع خلق السماوات والأرض وجعل من الماء كل شيء حي...، منزه عن الولد والصاحبة، فالكلام رد على المشركين في زعمهم، وجاء بأسلوب الاستفهام الإنكاري لإهمالهم النظر، وعطف ما بعدها مما ينبغي صرف الرؤية له، سواء أكانت الرؤية قلبية أم بصرية، على ما سبق من آيات التوحيد كي يؤمنوا، ولهذا جاءت الفاصلة: أفلا يؤمنون.

أما قراءة (ألم) بدون الواو فإنها تفيد ابتداء كلام جديد، يُرَدُّ من خلاله على الشبهات السابقة كلها، ما قالوه في حق الملائكة وغيره مما سبق ذكره أيضاً، فقد عرضت الآيات السابقة مقولات المشركين في تعدد الآلهة، وجاء الرد عليهم مختصراً: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"، فالآيات هذه شروع في عرض آيات قدرته تعالى؛ لتكون رداً على مزاعمهم الباطلة كلها.(٩٠)

٢١. كلمة (لله) في قوله تعالى من سورة المؤمنون في الموضعين:

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

فقد قرأها البصريان في الموضعين: (الله) بزيادة ألف الوصل قبل اللام، أو قل: بحذف لام الجر الداخلة على الجلالة، ورفع الهاء من الجلالتين، وكذلك رسمتا في المصاحف البصرية على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، أي: هو الله. وقرأ الباقون: (لله) في الموضعين بغير ألف، أو قل: بإثبات لام الجر، وخفض الهاء به، وكذلك رسما في مصاحف الحجاز والشام والعراق (الكوفة).(٩١)

---

(٩٠) انظر حجة القراءات، ص: ٤٦٧؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٢٤٩.

(٩١) النشر، ٣٢٩/٢، وقد ذكر ابن الجزري عند سرده قراءة البصريين وأنها كذلك مكتوبة في المصحف البصري بأنه نص على ذلك الحافظ أبو عمرو في جامعه. وانظر أيضاً: كتاب السبعة، ص: ٤٤٧؛ التيسير، ص: ١٦٠؛ حجة القراءات، ص: ٤٩٠-٤٩١؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٢٧.

فالجواب في كل من القراءتين جاء على أسلوب مختلف، ولا بد من النظر إلى الآية قبلها، وهي محل اتفاق بين القراء، فقد قال الله تعالى: "قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله أفلا تذكرون"، فهنا كان السؤال: لمن، فجاء الجواب: لله. أما في الموضعين الآخرين، فلم يقل الله: لمن، إنما قال: من رب، من بيده، فقراءة: (لله) فيهما رد على الموضع الأول على تقدير (هي لله)، على أن تعود هي على السماوات والعرش في الأولى، وعلى ملكوت كل شيء في الثانية، والتقدير: السماوات السبع والعرش العظيم لله، أي أن ربها الله، وأيضاً: ملكوت كل شيء لله، أي أنها بيد الله، فما كان لله، فهو ربه وهو بيده سبحانه.

وبهذا نفهم القراءة الثانية في الموضعين، فالجواب جاء مباشراً، من رب السماوات السبع؟ فالجواب: الله، من بيده ملكوت كل شيء؟ فالجواب: الله. على تقدير: (هو الله). والأمر بين القراءتين قريب، فلو سأل سائل: من رب هذا البيت؟ فإن قلت: فلان، أردت: ربها، وإن قلت: لفلان أردت: هي لفلان. فالجواب في الأولى كان على المعنى، بينما في الثانية فعلى اللفظ.[٩٢]

وقد ذهب بعض العلماء[٩٣] إلى ترجيح قراءة (سيقولون الله) بحجة أنها على اللفظ، أما تلك فعلى المعنى، والجواب على اللفظ هو الوجه، فهذا لا يجوز في القراءات المتواترة، بل نبحث عن شيء آخر في القراءتين، فنلحظ أنه في قراءة (لله) كان التركيز على السماوات والملكوت في أن يتفكر الناس فيها، فجاء الجواب: هي لله. بينما نلحظ من قراءة (الله) أن التركيز هو على كلمة (الله)، فهو من بيده ملكوت كل شيء، فجاء الجواب: هو الله.

ونلفت النظر أيضاً إلى ما ذكره الطبري عن القراءة فقال: "أما الذين قرأوا بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك، لأنهم أجروا الجواب على الابتداء،

---

(٩٢) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٢٥٨؛ حجة القراءات، ص: ٤٩٠-٤٩١؛ الحجة للقراء السبعة، ٥/ ٣٠٠-٣٠١.

(٩٣) مثل أبي علي الفارسي في الحجة للقراء السبعة، ٥/ ٣٠١.

وردوا مرفوعاً على مرفوع، وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم: قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون: رب ذلك الله، فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك. وأما الذين قرأوا ذلك في هذا (لله) بغير ألف، فإنهم قالوا: إن معنى قوله: (من رب السماوات): لمن السماوات؟ لمن ملك ذلك، فجعل الجواب على المعنى فقيل: لله، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو"، ثم يعلق على القراءتين فيقول: "هما قراءتان قرأ بهما علماء من الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيهما قرأت فمصيب، غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك سوى خط مصحف أهل البصرة"[٩٤]، والرد عليه واضح قد تكرر.

٢٢. كلمة (ونزل) في قوله تعالى من سورة الفرقان:

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

جاء في قراءتها وتوجيهها: أنه قرأ ابن كثير: (وَنُنْزِلُ الملائكةَ) بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة، مع تخفيف الزاي ورفع اللام ونصب الملائكة على المفعولية، كما في المصحف المكي. وقرأ الباقون: (ونُزِّلَ الملائكةُ) بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام على أنه مبني للمفعول، ورفع الملائكة على أنها نائب فاعل، كما في مصاحفهم.[٩٥]

والتوجيه النحوي فيها واضح، ولكننا نركز على ما قد تضيفه القراءتان من معان أخرى، فمعلوم أنه عندما يكون الفعل مبنياً للمجهول فالتركيز هو على الفعل وعلى المفعول الذي هو هنا نائب فاعل، فالذي أسند إليه لفظ التنزيل هم الملائكة، وعندها يستحضر الإنسان منظر نزول الملائكة في ذلك اليوم العظيم، مع ما يفيده الفعل (نُزِّل) من تكثير لهذا النزول. أما على قراءة (ننْزِلُ) فإن فعل

---

(٩٤) تفسير الطبري، ١٨/٤٧-٤٨.

(٩٥) انظر كتاب السبعة، ص: ٤٦٤؛ التيسير، ص: ١٦٤؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٢٦٥؛ الحجة للقراء السبعة، ٥/٣٤٢؛ حجة القراءات، ص: ٥١٠-٥١١؛ النشر، ٢/٣٣٤؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٣٠.

التنزيل أسند إلى الله تعالى، فالتركيز هو على قدرته سبحانه. فكلتا القراءتين أفادت معنى زائداً على الأخرى.

وهذه الكلمة أيضاً يصدق عليها ما قلناه عن كلمة (مكني)، ولولا ما ذكره علماء الرسم والقراءة لقلنا: بأن الرسم واحد، وتزاد النون الثانية.

٢٣. كلمة (وتوكل) في قوله تعالى من سورة الشعراء:

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾

قرأ المدنيان وابن عامر: (فتوكل) بالفاء وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام. وقرأ الباقون: (وتوكل) بالواو، وكذلك هي في مصاحفهم.(٩٦)

أما عن الحكمة من اختلاف القراءتين فلا بد من إلقاء الضوء على السياق، فالآية متصلة بما قبلها من آيات تتحدث عن وجوب إنذار عشيرته الأقربين، وخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، ثم يأتي قوله: فإن عصوك.... والفاء في قوله (فقل إني بريء) واقعة في جواب الشرط، فالمعنى على القراءة بالواو أن الله طلب من رسوله ﷺ إن عصته عشيرته أو عصاه الذين اتبعوه من المؤمنين –والثاني أوْلى لمرجع الضمير على أقرب مذكور– فليفعل أمرين: أحدهما أن يقول لهم إنه بريء مما تعملون، وثانيهما أن يتوكل عليه سبحانه، ويشبه هذا الموضع قوله سبحانه: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، (الأنفال/٦١).

وأما على القراءة بالفاء فقيل إنها الجواب على (فإن عصوك)، ولكن الذي يضعفه هو موقع (فقل إني..)، إذ ليس لها معنى على هذا القول. والذي أرجحه –والله أعلم– أن الله سبحانه عطف التوكل بالفاء، ليفيد التعقيب والترتيب تفريعاً على (فقل إني بريء)، فائدة ذلك التنبيه إلى المبادرة بالبراءة من أولئك، والتنصيص على اتصال التوكل بقوله (إني بريء)(٩٧)، أي إن عصوك فتبرأ من

---

(٩٦) النشر، ٢/٣٣٦. وانظر أيضاً السبعة، ص: ٤٧٣؛ التيسير، ص: ١٦٧؛ حجة القراءات، ص: ٥٢١–٥٢٢؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٣٢.

(٩٧) انظر التحرير والتنوير، ١٩/٢٠٣.

عملهم فتوكل على العزيز الرحيم، وقد عبر الشوكاني عن هذا المعنى فقال: "فعلى قراءة (فتوكل) يكون ما بعد الفاء كالجزء مما قبلها مترتباً عليها"[٩٨]، وفائدة هذا التعقيب هو إلزام النبي ﷺ أن لا يتحسر عليهم: ولا ييأس من عدم إيمانهم، فليتوكل على العزيز الرحيم.

٢٤. كلمة (ليأتيني) في قوله تعالى من سورة النمل:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

قرأ ابن كثير: (ليأتينني) بنونين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة مخففة، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة. وقرأ الباقون: (ليأتيني) بنون واحدة مكسورة مشددة، وكذلك هي في مصاحفهم.[٩٩]

فعلى قراءة ابن كثير فهناك نونان، الأولى مشددة، وهي نون التوكيد، والثانية نون الوقاية، أما قراءة الجمهور فبنون واحدة مشددة وحذف النون الثانية. ونقول فيها: إنها لهجات في القراءة نزل بها الوحي.

وينطبق على هذه الكلمة أيضاً ما قلته عن كلمتي (مكني) في الكهف و(ونزل) في الفرقان.

٢٥. الواو في كلمة (وقال) في قوله تعالى من سورة القصص:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

قرأ ابن كثير: (قال) بغير واو كما في مصحف مكة. وقرأ الباقون: (وقال) بالواو، كما في مصاحفهم.[١٠٠]

---

(٩٨) فتح القدير، ٤/١١٦.

(٩٩) النشر، ٢/٣٣٧. وانظر أيضاً: السبعة، ص: ٤٧٩؛ التيسير، ص: ١٦٧؛ حجة القراءات، ص: ٥٢٤؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٣٣.

(١٠٠) النشر، ٢/٣٤١. وانظر أيضاً: السبعة، ص: ٤٩٤؛ التيسير، ص: ١٧١؛ حجة القراءات، ص: ٥٤٦؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٣٦.

وهنا عُطف كلام موسى ﷺ على كلامهم، فلما جاءهم موسى بآيات الله بينات فهناك قولان، فهم قالوا: ما هذا إلا سحر...، وقال موسى: ربي أعلم...، فبين الجملتين اتفاق تام ومناسبة تامة، والقصد هو التوازن بين حجة ملأ فرعون وحجة موسى ﷺ؛ ليظهر للسامع التفاوت بينهما في مصادفة الحق ويتبصر فساد أحدهما.(١٠١)

أما على القراءة بدون واو، فقيل: بأن كلام موسى ﷺ منقطع من قولهم(١٠٢)، فهو كلام جديد منه بنية الإعراض عنهم بعد أن بان منهم العناد والجحود، دل على هذا ذكره للآخرة، ووصفهم بالظالمين، وما تبع هذا القول من كلام فرعون الذي ادعى فيه الألوهية، وأظهر استكباره هو وجنوده. ويمكننا القول: إن كلام موسى ﷺ شديد الارتباط بما قبله على صورة حكاية المحاورات، فهو رد على قولهم، فمن الممكن أن ننزل كلام موسى كأنه جواب على سؤال يُفهم من ردهم، كأن سائلاً سأل: فماذا كان رد موسى عليهم، فالجواب: قال موسى ربي أعلم....

٢٦. كلمة (عَمِلَتْهُ) في قوله تعالى من سورة يس:

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

فقد قرأ الكوفيون عدا حفص عن عاصم: (عملت) بغير هاء ضمير، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك. وقرأ الباقون: (عملته) بالهاء، وهي في مصاحفهم كذلك.(١٠٣)

والذي عليه كثير من المفسرين في هذه الهاء أن العرب تضمرها أحياناً

---

(١٠١) انظر التحرير والتنوير، ٢٠/١١٩-١٢٠.

(١٠٢) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٢٧٨؛ الهادي، ٣/١٢٢.

(١٠٣) النشر، ٢/٣٥٣. وانظر أيضاً كتاب المصاحف، ١/٢٥٧، ٢٧٣، ٢٧٥؛ كتاب السبعة، ص: ٥٤٠؛ التيسير، ص: ١٨٤؛ المقنع في مرسوم مصاحف الأمصار، ص: ١٠٦؛ حجة القراءات، ص: ٥٩٨؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٤٩؛ الهادي، ٣/١٦٩.

وتظهرها في صلات: من، ما، الذي.[١٠٤] والهاء هنا هي مفعول معلوم، ولذلك حذفت تخفيفاً، فالمفعول به فضلة في الكلام.[١٠٥]

ويمكن أن يكون هناك وجه آخر، فعلى قراءة (عملت) فإنّ (ما) في (وما) بمعنى الذي، والواو للعطف، فالمعنى حينئذ يكون: ليأكلوا من ثمره والذي عملت أيديهم من هذه الثمار. أما على قراءة (عملته) فإن (ما) هي النافية، والواو حالية، والمعنى: ليأكلوا من ثمره والحال أنه لم تفعله أيديهم، بل إنه الله الذي أنبته، بدليل قوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾، (الواقعة/٦٣-٦٤).[١٠٦]

بقي أن نقول بأن الكلمة مرسومة في مصحفنا (كما هو أعلاه) بالهاء، وهذا مخالف لما ذكره العلماء من أنها في الكوفي بلا هاء، وهذه مسألة سنناقشها في بحث مستقل، لكن الذي ينبغي قوله هنا: إنها وإن خالفت رسم المصحف الكوفي إلا أنها مشابهة لرسم مصحف آخر.

٢٧. كلمة (تأمروني) في قوله تعالى من سورة الزمر:

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قرأ ابن عامر: (تأمرونني) بنونين خفيفتين، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة، وكذا هي في المصحف الشامي، فالنون الأولى نون الإعراب والثانية نون الوقاية. وقرأ الباقون: (تأمروني) بنون واحدة، ولكنهم اختلفوا فيها، فقرأ المدنيان بتخفيف النون وفتح الياء (تأمرونِيَ) على حذف نون الوقاية، وقرأ ابن كثير بنون مشددة مع مد الواو وفتح الياء (تأمرونّيَ) بإدغام نون الإعراب بنون الوقاية، وقرأ الباقون مثله، ولكن بياء مدية (تأمرونّي).[١٠٧]

---

(١٠٤) تفسير الطبري، ٢٣/٤.

(١٠٥) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٢٩٨؛ التحرير والتنوير، ٢٣/١٤.

(١٠٦) انظر الحجة للقراء السبعة، ٦/٤١؛ تفسير الطبري، ٢٣/٤، وقد جوز كون (ما) نافية؛ فتح القدير، ٤/٣٥٧.

(١٠٧) انظر كتاب السبعة، ص: ٥٦٣؛ التيسير، ص: ١٩٠؛ حجة القراءات، ص: ٦٢٤-٦٢٥؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/٩٩؛ النشر، ٢/٣٦٣-٣٦؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٥٤.

والذي نقوله هنا: إن الاختلاف هو اختلاف لهجات في قراءة الكلمة.

ولعل ما قلناه عن كلمة (مكني)، و(ونزل)، و(ليأتيني) يمكن قوله هنا عن كلمة تأمروني.

٢٨. كلمة (منهم) في قوله تعالى من سورة غافر:

﴿۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١﴾

قرأ ابن عامر: (منكم) بالكاف، وكذا هي في المصحف الشامي، وهي هنا تفيد الخطاب. وقرأ الباقون بالهاء، وكذا هي في مصاحفهم، وهي هنا للغيبة.(١٠٨)

ولعل الوجه في هذه الكلمة واضح، فقراءة (منهم) على الغيبة؛ لتوافق الجمل قبلها، وتوافق القراءة في كلمة (يدعون)، فقد قرأ نافع وهشام عن ابن عامر (تدعون) بالخطاب، وقرأ الباقون (يدعون) بالغيبة، وقد جاء قبلها: "وأنذرهم يوم الآزفة...، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء، إن الله هو السميع البصير، أولم يسيروا في الأرض..."، فالضمائر في الجمل وعلى قراءة (يدعون) هي للغائب، فناسبتها القراءة بـ: (منهم)، والمقصود منها الأمم السابقة كما دل صريح الآية. أما قراءة (منكم) على الخطاب فعلى أن الخطاب موجه لأهل مكة، وهذا ملائم للقراءة الثانية لكلمة (تدعون) المقصود منها أهل مكة(١٠٩)، فقد توجه الخطاب لأهل مكة على سبيل التهديد، بمعنى أن ما أصاب أولئك ليس ببعيد عنكم، ولن تغني عن فئة كثرتها ولا قوتها إذا شاء الله إهلاكها.

---

(١٠٨) انظر كتاب السبعة، ص: ٥٦٩؛ التيسير، ص: ١٩١؛ حجة القراءات، ص: ٦٢٩؛ النشر، ٢/٣٦٥؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٥٦.

(١٠٩) انظر أبو علي الفارسي في الحجة، ٦/١٠٦-١٠٧، وقد رجح القراءة على الغيبة لاتفاق الجمل قبلها على الغيبة، وقد تبعه على هذا ابن عطية في تفسيره، ١٣/٢٦، وهذا الكلام مردود كما بينا أكثر من مرة. وانظر – أيضاً – الحجة لابن خالويه، ص: ٣١٣؛ حجة القراءات، ص: ٦٢٩.

إلا أننا نلحظ في قراءة نافع، وقد قرأ (منهم)، و(تدعون)، أن في قراءته التفاتاً من الخطاب في (تدعون) إلى الغيبة في (أولم يسيروا) و(أشد منهم)، وأيضاً ففي رواية هشام عن ابن عامر فإن في هذه الرواية التفاتاً من الخطاب في (تدعون) إلى الغيبة في (أولم يسيروا) ثم إلى الخطاب في (أشد منكم).[١١٠]

٢٩. كلمة (أو أن) في قوله تعالى من سورة غافر:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

قرأ الكوفيون ويعقوب: (أو أن) بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وإسكان الواو، وكذلك هي في مصاحف الكوفة. وقرأ الباقون: (وأن) بغير ألف، وكذلك هي في مصاحفهم.[١١١]

وبهذا فإن كل فريق من القراء قد قرأ الجملة بعدها على قراءتين، فقد قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر: (وأن يُظهرَ في الأرض الفسادَ)، وقرأ ابن كثير وابن عامر: (وأن يَظهرَ في الأرض الفسادُ). بينما قرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف: (أو أن يَظهرَ في الأرض الفسادُ)، وقرأ حفص ويعقوب: (أو أن يُظهر في الأرض الفسادَ).

والقراءتان تبينان الحال الذي كان عليه فرعون، فقد ذكر المفسرون أنه كان في خاصة قومه – ومنهم: مؤمن آل فرعون الذي ابتدأ دوره في القصة مباشرة بعد قول فرعون هذا– من يمنعه من قتل موسى، مخافة أن ينزل بهم العذاب[١١٢]، فقال لهم: اتركوني أقتله، وعلل طلبه بقوله هذا، ففي قراءة (إني أخاف أن يبدل دينكم وأن يُظهر في الأرض الفسادَ) ما يسوغ هذا القتل، فقد

---

(١١٠) انظر التحرير والتنوير، ٢٤/ ١٢٠.

(١١١) انظر كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد، ص: ١٩٧؛ السبعة، ص: ٥٦٩؛ التيسير، ص: ١٩١؛ حجة القراءات، ص: ٦٢٩–٦٣٠؛ النشر، ٢/ ٣٦٥.

(١١٢) انظر على سبيل المثال فتح القدير، ٤/ ٤٧٠.

جمع بين إبدال الدين وإظهار الفساد، وعلى قراءة (وأن يَظهر في الأرض الفساد) فلم يحمل موسى إظهار الفساد مباشرة، إنما هو نتيجة لإبدال الدين. أما على قراءة (أو أن يُظهر في الأرض الفسادَ) فعلى أن كلا الأمرين خطير عظيم، وواحد منهما يوجب قتله، وعلى قراءة (أو أن يَظهرَ في الأرض الفسادُ) فعلى أن موسى إما أن يبدل الدين أو أن يعم الفساد نتيجة لاستمراره في دعوة الناس بحرية.(١١٣)

وبهذا نلحظ عظيم ما بينته هذه القراءات من معان، حيث يريد هذا الطاغوت إقناع قومه بسوء ما يهم به، وهكذا أهل الباطل لا حجة لهم أمام الحق إلا أن يبدلوا دين المؤمنين، أو يظهروا قوتهم وبطشهم، إرهاباً وقتلاً للمؤمنين.

٣٠. كلمة (فبما) في قوله تعالى من سورة الشورى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾

قرأ المدنيان وابن عامر: (بما) بغير فاء قبل الباء، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام. وقرأ الباقون: (فبما) بالفاء، وكذلك هي في مصاحفهم.(١١٤)

والتوجيه على قراءة (فبما) على تقدير أن (ما) في (وما أصابكم) بمعنى الشرط، أي: وإن أصابكم بمصيبة فبما كسبت أيديكم، فجاءت الفاء لأنها مجازاة جواب الشرط، ومثلها قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾، (النساء/٧٩). أما على القراءة الأخرى فإن (ما) في (وما) هي مبتدأ بمعنى الذي، و(بما) فهي ظرف مستقر وهي خبر المبتدأ، والمعنى: والذي أصابكم من مصيبة وقع بما كسبت أيديكم.(١١٥)

---

(١١٣) انظر الحجة للقراء السبعة، ٦/١٠٧-١٠٨؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٣١٣؛ التحرير والتنوير، ٢٤/١٢٦.

(١١٤) النشر، ٢/٣٦٧. وانظر -أيضاً- السبعة، ص: ٥٨١؛ التيسير، ص: ١٩٥؛ حجة القراءات، ص: ٦٤٢؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٥٨.

(١١٥) انظر حجة القراءات، ص: ٦٤٢؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/١٢٩؛ التحرير والتنوير، ٢٥/٩٩.

ولا شك أن في اختلاف القراءتين ما أثرى المعنى، ونلفت النظر إلى أن الآيات قبل هذه تحدثت عن نعم الله على الناس، فتحدثت عن بسط الرزق للعباد وإنزال الغيث من بعد القنوط ونشر الرحمة، ثم الحديث عن خلق السماوات والأرض وبث الدواب، إلى أن قال: وما أصابكم من مصيبة، فلا بد من التنبيه إلى خطر الذنب، لأنه يجر المصائب، والإنسان قد يحرم الرزق بالذنب يصيبه كما ورد في الحديث.(١١٦)

٣١. كلمة (تشتهيه) في قوله تعالى من سورة الزخرف:

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾﴾

ورد في قراءتها أنه قرأها المدنيان وابن عامر وحفص: (تشتهيه) بزيادة هاء ضمير مذكر بعد الياء، وكذلك هي في المصاحف المدنية والشامية. وقرأ الباقون: (تشتهي) بحذف الهاء، وكذلك هي في مصاحف مكة والعراق.(١١٧)

والذي ذهب إليه معظم المحققين –كما مر معنا– أن كلاً من وجهي إثبات الهاء وحذفها فصيح في كلام العرب، فمن أثبتها فقد أظهر المفعول، ومن حذفها فللاختصار، وبهما جاءت نصوص كثيرة من القرآن، فمن مواضع حذفها قوله تعالى: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾، (الفرقان/٤١، يريد: بعثه.

---

(١١٦) رواه ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥)، وقد رواه في موضعين، الأول في المقدمة، الباب/١٠، حديث رقم: ٩٠، ولفظه: عن ثوبان قال: قال ﷺ: "لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها"، والثانية في كتاب الفتن، باب/٢٢، حديث رقم: ٤٠٢٢، وهي بلفظ "بالذنب يصيبه". قال المحقق: حديث حسن.

(١١٧) النشر، ٢/٣٧٠. وانظر أيضاً: كتاب المصاحف، ١/٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧١؛ فضائل القرآن لأبي عبيد، ص: ١٩٧؛ السبعة، ص: ٥٨٨–٥٨٩؛ المقنع، ص: ١٠٧، ويذكر الداني فيه عن أبي عبيد قوله: "وبهائين رأيته في الإمام"، فإن كان يشير إلى ما في فضائل القرآن فلم يقل أبو عبيد هذا؛ التيسير، ص: ١٩٧؛ حجة القراءات، ص: ٦٥٤؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٦٠.

ومثال الإثبات قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾، (البقرة/ ٢٧٥).[١١٨]

بقي أن نقول بأن الكلمة مرسومة في مصحفنا (كما هو أعلاه) بالهاء، وهذا مخالف لما ذكره العلماء من أنها في مصاحف العراق بلا هاء، وهذه مسألة سنناقشها كما قلنا في بحث مستقل، لكن الذي ينبغي قوله هنا: إنها وإن خالفت رسم المصحف الكوفي إلا أنها مشابهة لرسم مصحف آخر.

٣٢. كلمة (إحساناً) في قوله تعالى من سورة الأحقاف/ ١٥:

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهًاۖ﴾

قرأ الكوفيون: (إحساناً) بزيادة همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء وفتح السين وألف بعدها، كما هي في مصاحف الكوفة. وقرأ الباقون: (حسناً) بضم الحاء وإسكان السين من غير همزة ولا ألف، كما هي في مصاحفهم.[١١٩]

وعلى هذا فمن قرأ (إحساناً) فعلى تقدير: أمرناه أن يحسن إليهما إحساناً، فإن إحساناً هي مصدر أحسن، والمطلوب أن يؤتيهما الإحسان لا الإساءة، ومثل هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانًا﴾، (البقرة/٨٣) باتفاق القراء. أما قراءة (حسناً) فمن حَسُن يحسن حسناً، أي: التوصية للإنسان بوالديه بالبر بهما والعطف عليهما وحسن معاملتهما، والتقدير: أمرناه أن يفعل بوالديه ما يحسن، ومثلها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنًاۖ﴾، (العنكبوت/٨) باتفاق القراء.[١٢٠]

---

(١١٨) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٢٣؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/١٥٨؛ حجة القراءات، ص: ٦٥٤.

(١١٩) النشر، ٢/٣٧٣. وانظر أيضاً: السبعة، ص: ٥٩٦؛ التيسير، ص: ١٩٩؛ حجة القراءات، ص: ٦٦٣؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٦٢.

(١٢٠) انظر حجة القراءات، ص: ٦٦٣؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/١٨٣؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٣٢٦.

وبالرجوع إلى المعنى اللغوي لكل كلمة فالظاهر أن الحسن قد ذكر بمقابل السوء، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾، (النمل/١١)، وهي تفيد معنى الشيء الحسن، قولاً أو فعلاً، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ﴾، (الشورى/٢٣). أما الإحسان فهو بمعنى الإنعام على الغير وإتقان الفعل، قال تعالى على لسان يوسف ﷺ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾، (يوسف/١٠٠)، وقيل: إن الإحسان أعم من الإنعام، وهو فوق العدل، لأن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له.(١٢١)

وبهذا يتبين لنا أن الله سبحانه يريد من الإنسان الجمع بين الإحسان والحسن للوالدين، فقد جاءت آية بالإحسان، وأخرى بالحسن، وهذه بقراءتيها عمت الأمرين معاً، وذلك لتناسب سياق الآية، وهو سياق حافل بالحديث عن الاستقامة، والنعيم الأخروي، ثم الحديث عن الوالدين وفضلهما، وبخاصة الأم في مسألة حملها ووضعها وإرضاعها، فلم تتحدث آية أخرى من الآيات عن هذه الموضوعات في معاناة الأم، وبعد هذه الآية كان هناك حديث آخر عن أحد مواقف القيامة، ثم أحد مشاهد العقوق للوالدين، فلمناسبة السياق طُلب الحسن والإحسان معاً، والله أعلم.

٣٣. كلمة (ذو) في قوله تعالى من سورة الرحمن:

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾

فقد قرأ ابن عامر: (ذا) بالنصب صفة لمنصوب معطوف على (الأرضَ)، وكذا كتب في المصحف الشامي بألف. وقرأ الباقون: (ذو) بالرفع صفة لمعطوف على (فاكهةٌ)، وهي في مصاحفهم بالواو.(١٢٢)

ونزيد التوجيه وضوحاً بأن نبين ما قبل هذه الآية، فقد قال الله تعالى:

---

(١٢١) المفردات، ص: ١١٩. وانظر أيضاً تفسير الطبري، ١٥/٢٦؛ التحرير والتنوير، ٢٩/٢٦.

(١٢٢) انظر السبعة، ص: ٦١٩؛ التيسير، ص: ٢٠٦؛ حجة القراءات، ص: ٦٩٠؛ النشر، ٢/ ٣٨٠؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٦٨.

"والأرضَ وضعها للأنام، فيها فاكهةٌ والنخلُ ذاتُ الأكمام، والحبّ ذو العصف والريحان"، فقد قرأ ابن عامر: (والحبَّ ذا العصفِ والريحانَ)، فتكون (والحبَّ) منصوبة بفعل مقدر معطوف على وضعها أي: وأنبت الحبَّ، وتكون (ذا) صفة للحب، أما (والريحانَ) فهي معطوفة على (الحبَّ)، والمعنى: وضع الأرضَ وأنبت الحبَّ والريحانَ. وقرأ حمزة والكسائي وخلف: (والحبُّ ذو العصف والريحانِ)، فتكون (والحبُّ) معطوفة على (فاكهةٌ)، وتكون (ذو) صفة لها وهي مضاف، و(العصفِ) مضاف إليه، و(الريحانِ) معطوف على المضاف إليه، والمعنى: في الأرض ثلاثة أشياء هي: فاكهةٌ، والنخلُ، والحبُّ ذو العصفِ والريحانِ). وقرأ الباقون (والحبُّ ذو العصف والريحانُ)، وتوجيهها كما في القراءة السابقة، إلا أن كلمة (والريحانُ) تكون معطوفة على (والحب)، ففي الأرض أربعة أشياء هي: فاكهةٌ والنخلُ، والحبُّ ذو العصف، والريحانُ.(١٢٣) وقد رجح الطبري (والريحانِ) بالكسر.(١٢٤)

أما من حيث المعنى وحكمة مجيء القراءتين، فإن القراءة بالنصب لكلمة (الحبَ) أعطت الحبَّ والريحانَ استقلالية في الخلق والعناية، فقد وضع الله للأنام الأرضَ بما فيها من فاكهة ونخل، وأنبت الحبَّ ذا العصف وأنبت الريحانَ. والحب معروف، أما العصف فهو ما يعصف أي يقطع قبل أوانه فيكون طعاماً للدواب، أو هو الزرع الكثير وقيل غير ذلك، وأما الريحان: فهو على هذه القراءة مستقل بمعنى الورق، أو ما قام على ساق، أو ما يُشم، وقيل: غير ذلك(١٢٥)، فإفراد الحب والريحان لأهميتهما، تماماً كما عطف النخل على الفاكهة – مع أنها منها؛ لأهمية النخل، فهذا من عطف الخاص على العام.

أما على القراءة بالرفع، فإن الحب مندرج مع ما أوجد الله في هذه الأرض

---

(١٢٣) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٣٨؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/٢٤٥-٢٤٦؛ حجة القراءات، ص: ٦٩٠.

(١٢٤) تفسير الطبري، ٢٧/١٢٢، وهذا على عادته رحمه الله في الترجيح بين القراءات.

(١٢٥) انظر المفردات، ص: ١٠٥، ٢٠٦، ٣٣٦؛ تفسير الطبري، ٢٧/١٢١-١٢٢؛ فتح القدير، ٥/١٣٢-١٣٣.

المبسوطة للخلق، ووصف بأنه ذو العصف والريحانِ، فشمل الحب هنا نوعي الرزق للبشر وللبهائم، فهو معصوف من جهة وريحان من جهة أخرى.

وعلى القراءة الأخيرة فالجديد: هو إفراد الريحان عن الحب كما في القراءة الأولى، ولكن على أنه مما اندرج مع ما أوجده الله في الأرض بعد تسويتها.

والذي يتبين لي أن في القراءة الأولى تذكيراً للإنسان بأن المتصرف الحقيقي في أمور النبات هو الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه جعل هذا من أمره هو، أما القراءتان الثانية والثالثة ففيهما حث للإنسان أن يأخذ بأسباب الزراعة، فقد يسر الله الأرض لهذه الزراعة، وأذن لها أن تنبت ما يحتاج إليه الإنسان.

٣٤. كلمة (ذي) في قوله تعالى من سورة الرحمن:

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾

فقد قرأ ابن عامر: (ذو الجلال) بواو بعد الذال نعتاً للاسم، وكذلك هي في المصاحف الشامية. وقرأ الباقون: (ذي الجلال) بياء بعد الذال نعتاً للرب، وكذلك هي في مصاحفهم.(١٢٦)

والتوجيه – هنا – واضح، فهنا كلمتان هما (اسمُ) و(ربِّك)، فعلى قراءة الجر فإن (ذي) هي صفة لـ (ربِّ)، وعلى قراءة الرفع فإن (ذو) هي صفة (اسمُ).(١٢٧) وبناء عليه فالوصف بالجلال والإكرام على قراءة الجر للرب (لـ سبحانه)، أي لله، فالله ذو الجلال والإكرام، أما على قراءة الرفع فالوصف للاسم، بمعنى أن اسم الرب ذو جلال وإكرام، فهنا لفت انتباه لما لاسم الرب من جلال وإكرام، أو أن (اسم) هنا بمعنى ذكر، أي تبارك ذكر ربك، وهو جيد أيضاً.

٣٥. كلمة (وكلاً) في قوله تعالى من سورة الحديد:

﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾

---

(١٢٦) انظر كتاب السبعة، ص: ٦٢١؛ التيسير، ص: ٢٠٧؛ حجة القراءات، ص: ٦٩٤؛ النشر، ٢/٣٨٢؛ الفتح الرباني في القراءات، ص: ٢٦٨.

(١٢٧) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٤٠؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/٢٥٣؛ حجة القراءات، ص: ٦٩٤؛ التحرير والتنوير، ٢٧/١٦٥.

فقد قرأ ابن عامر: (وكل) برفع اللام على الابتداء، والجملة بعده خبر، وكذا هو في المصاحف الشامية. وقرأ الباقون: (وكلاً) بالنصب على المفعولية، وكذلك هي في مصاحفهم.(١٢٨)

والتوجيه النحوي هنا واضح، فجملة (وكلاً وعد الله الحسنى) جملة مستقلة عما قبلها لفظاً، ولكنها مرتبطة بما سبق معنى، والمعنى على القراءة بالنصب: أن الله وعد الحسنى كلاً من المنفقين قبل الفتح وقاتلوا، والذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، مع مراعاة عدم استوائهم في الأجر، والحسنى هي الجنة. أما على قراءة الرفع، فكلمة (كلٌ) مبتدأ خبره الجملة بعده، فابتدأ الله كلاماً جديداً يتحدث فيه عن الفريقين فقال: كلٌ من الفريقين وعده الله الحسنى.(١٢٩)

والمعنى قريب من القراءة الأولى في استحقاق كل منهما الجنة مع تفاوت الدرجات، ولكن في قراءة النصب فالجملة فعلية، وعلى قراءة الرفع فالجملة اسمية، وكما يقول علماء البلاغة فالجملة الفعلية تفيد التجدد والحدوث في زمن محدد، وقد تفيد الاستمرار التجددي شيئاً فشيئاً بحسب المقام والقرائن إن كان الفعل مضارعاً. أما الجملة الاسمية فتفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، بدون نظر إلى تجدد أو استمرار، وقد تفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن، ومنها مقام المدح، هذا إن كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية، أما إن كان الخبر جملة فعلية كما هو هنا– فإنها تفيد التجدد.(١٣٠)

---

(١٢٨) انظر كتاب السبعة، ص: ٦٢٥؛ التيسير، ص: ٢٠٨؛ حجة القراءات، ص: ٦٩٨–٦٩٩؛ النشر، ٢/ ٣٨٤؛.

(١٢٩) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٤١–٣٤٢؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/ ٢٦٦–٢٦٧؛ حجة القراءات، ص: ٦٩٨–٦٩٩. وانظر أيضاً تفسير أبي السعود، ٥/ ٦٨٤؛ تفسير ابن عطية، ١٤/ ٢٩٥.

(١٣٠) انظر السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٦)، ص: ٥٨–٥٩.

وبهذا، فالقراءتان تفيدان التجدد، إلا أن الجملة الاسمية أفادت التوكيد، فكما يقول أهل البلاغة فإن من أدوات توكيد الخبر (الجملة الخبرية لا الإنشائية) اسمية الجملة[١٣١]، فحسن هنا توكيد أن لكلٍ الحسنى. أما في الجملة الفعلية فقد تقدم ذكر (وكلاً) مع أن حق المفعول التأخر عن الفعل والفاعل، وذلك للمسارعة إلى طمأنتهما، وعلى الأخص من أنفق من بعد الفتح وقاتل.

٣٦. كلمة (هو) في قوله تعالى من سورة الحديد:

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤﴾

فقد قرأها المدنيان وابن عامر: (فإن الله الغني الحميد) بغير هو، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام. وقرأ الباقون: (فإن الله هو الغني الحميد) بزيادة هو، وكذلك في مصاحفهم.[١٣٢]

والتوجيه واضح في القراءتين، فعلى القراءة بدون (هو) فإن كلمة (الغني) خبر إن، وتكون (الحميد) صفة لها. وعلى القراءة بوجود (هو) فالخبر جملة اسمية من المبتدأ (هو) وخبره (الغني)، وتكون (الحميد) صفة للغني أو خبراً ثانياً لـ (هو)، وذهب بعض العلماء إلى أن (هو) – هنا – لا محل لها من الإعراب، وهي ضمير للفصل بين اسم إن وخبرها لا مبتدأ، ويمكن حذفها وإثباتها.[١٣٣]

ولا يخفى أن بين الجملتين (بوجود هو وبدونها) شيء من الاختلاف، فبدون (هو) فإن أصل الجملة هو (فالله الغني الحميد)، وهذا لون من إلقاء الخبر للمخاطب إن كان خالي الذهن، وهي جملة اسمية أفادت ثبوت الغنى لله عز وجل، ولكنها مع (إن) فقد أنزل المخاطب منزلة المتردد، ومن هنا فقد أكدت

---

(١٣١) المرجع السابق، ص: ٤٨.

(١٣٢) النشر، ٢/ ٣٨٤. وانظر أيضاً السبعة، ص: ٦٢٧؛ التيسير، ص: ٢٠٨؛ حجة القراءات، ص: ٧٠٢.

(١٣٣) انظر الحجة لابن خالويه، ص: ٣٤٢–٣٤٣؛ الحجة للقراء السبعة، ٦/٢٧٦؛ حجة القراءات، ص: ٧٠٢.

الجملة. أما على القراءة بوجود (هو)، فقد جعلت الخبر جملة اسمية، وقد أفادت (هو) إضافة إلى الثبات معنى القصر، فالله هو الغني الحميد وحده.

٣٧. كلمة (ولا) في قوله تعالى من سورة الشمس:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

فقد قرأ المدنيان وابن عامر: (فلا) بالفاء عطفاً على (فدمدمَ... فسواها)، وكذا هي في مصاحف المدينة والشام. وقرأ الباقون: (ولا) بالواو، على أنها واو الحال، وكذلك هي في مصاحفهم.(١٣٤)

وكي نفهم القراءتين فلا بد من عرض الآيات قبلها، فالله تعالى يقول: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا...﴾ الشمس: ١١-١٤، والمعنى: كذبت ثمود بطغيانها حين انتدب أشقاها لقتل الناقة، فقال لهم رسول الله صالح ﷺ: ناقة الله وسقياها، أي حذرهم الناقة أن يعقروها، وسقياها وهو الماء- أن يعرضوا له يوم شربها، فكذبوه بتحذيره إياهم، فعقروها، والذي عقرها واحد ولكن أسند الفعل لهم جميعاً لرضاهم بفعله، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها أي: أهلكهم وأطبق عليهم العذاب، والضمير في (فسواها) راجع إلى الدمدمة، أي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها، أو إلى الأرض، أي: فسوى الأرض عليهم فجعلهم تحت التراب، وقيل غير ذلك.(١٣٥)

أما قوله تعالى: (ولا يخاف عقباها) على قراءة (ولا)، فقيل: إن الواو للحال على تقدير: فسواها غير خائف عقباها، أي غير خائف أن يتعقب عليه شيء مما فعله، وفاعل (يخاف) هو الضمير العائد إلى قوله: (ربهم)(١٣٦)، وقيل: إلى

---

(١٣٤) انظر كتاب السبعة، ص: ٦٨٩؛ التيسير، ص: ٢٢٣؛ حجة القراءات، ص: ٧٦٦؛ النشر، ٢/٤٠١.

(١٣٥) انظر تفسير الطبري، ٣٠/٢١٥؛ فتح القدير، ٥/٤٤٧.

(١٣٦) انظر الحجة للقراء السبعة، ٦/٤٢٠؛ حجة القراءات، ص: ٧٦٦. وانظر تفسير الطبري، ٣٠/٢١٥ إذ يقول: "لا يخاف الله من أحد تبعة".

العاقر بمعنى أنه لم يخف عاقبة ما صنع، وقيل: إلى صالح ﷺ، بمعنى أنه غير خائف من عاقبة إهلاك قومه ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم، فقد أنذرهم، والضمير في (عقباها) يرجع إلى الفعلة أو إلى الدمدمة[١٣٧]. وذكر ابن خالويه احتمال أن تكون القراءة بالواو على اعتبار أن الكلام انتهى وتم عند رأس الآية، فاستأنف بكلام جديد، لأنه ليس من فعلهم ولا متصلاً بما تقدم لهم، أما القراءة بالفاء فقد أتبع الكلام بعضه بعضاً، وعطف آخره على أوله شيئاً فشيئاً، فناسب العطف بالفاء للترتيب.[١٣٨]

والذي أميل إليه من هذه الأقوال أن القراءة بالواو إما للاستئناف، والضمير في يخاف راجع إلى صالح ﷺ، بمعنى: فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها، وعندئذ لا يخاف صالح عقباها، وإما أن تكون الواو للحال، بمعنى أنه سبحانه سواها غير آبه بعاقبة أمرهم. وعلى القراءة بالفاء فالضمير عائد على الله، والمعنى: فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها، فلا يخاف هو عقباها، أي فالأمر أنه لا يخاف الله عقباها، فلا يخاف الله من شيء أن يحل بهم عذاب، أو كما قال الفراء بأن العقبى – هنا – هي الرجوع، فالمعنى: "لا يخاف الله أن ترجع وتعقب بعد إهلاكه، فالفاء بهذا المعنى أجود من الواو، وكل صواب".[١٣٩]

كلمات لم يصح اختلاف الرسم فيها

١. كلمة (هذان) في قوله تعالى من سورة طه:

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾

(١٣٧) فتح القدير، ٥/٤٤٧. وانظر الحجة للقراء السبعة، ٦/٤٢٠؛ تفسير أبي السعود، ٥/ ٨٧٦؛ تفسير الآلوسي، ٣٠/١٨٦.

(١٣٨) الحجة لابن خالويه، ص: ٣٧٢. وانظر تفسير أبي السعود، ٥/٨٧٦؛ تفسير الآلوسي، ٣٠/١٨٦.

(١٣٩) معاني القرآن للفراء، ٣/٢٧٠.

قرأ أبو عمرو (هاذين) وتشديد (إنّ)، وقرأ ابن كثير (إنْ هذانّ) بتشديد نون (هذان)، وقرأ حفص (إنْ هذان) بالتخفيف فيهما، وقرأ الباقون (إنّ هذان).[١٤٠]

والحقيقة أنه لم يذكر أحد صراحة أن هذه الآية مما اختلف رسمه[١٤١]، ولكن كلام بعض العلماء في طريقة رسمها جعلني أشك في إمكانية اختلاف رسمها، فقد ذكر ابن زنجلة وهو يحتج لقراءة الجمهور أنها مكتوبة في المصحف الإمام بالألف (هذان)، فالإمام ليس من مصاحف الأمصار، ولعل عثمان كتب فيه على القراءة، أو لعل ابن زنجلة قصد القراءة لا الرسم. ورجح الطبري القراءة بالألف، وعلل ترجيحه بأن هذا هو إجماع الحجة من القراء عليه وأنه كذلك في خط المصحف[١٤٢]، فلعل الطبري – هنا – يشير إلى أن الرسم (هذن) يقبل الألف لا الياء، ولا يعني أنها مرسومة بالألف، لأنها في مصاحفنا بلا ألف، فمن الممكن دخول الياء قبل النون بهذه الصورة، فتقرأ (هذين) دون أن يؤثر ذلك على رسم الكلمة. وذكر الشوكاني أن قراءة أبي عمرو "موافقة للإعراب الظاهر، ومخالفة لرسم المصحف، فإنه مكتوب بالألف"[١٤٣]، ونرد عليه – أيضاً – بأنها من غير ألف، ولكنها تقبل الألف، كما أنها تقبل الياء.

ولو سلمنا لأقوال هؤلاء العلماء بأنها بالألف لقلنا: إن أبا عمرو قد خالف

---

(١٤٠) انظر القراءة في السبعة، ص: ٤١٩؛ الحجة لابن خالويه، ص: ٢٤٢–٢٤٣؛ حجة القراءات، ص: ٤٥٤–٤٥٦؛ النشر، ٢/ ٣٢١. ولم يذكر هؤلاء اختلاف الرسم.

(١٤١) رجعت إضافة للمصادر السابقة إلى ابن مهران الأصفهاني، أبي بكر أحمد بن الحسين، الغاية في القراءات العشر، تحقيق محمد غياث الجنباز، (دار الشواف، الرياض، ط/٢، ١٩٩٠)، ص: ٣٢٢، ولم يعلق المحقق على اختلاف الرسم. كما رجعت إلى محمد سالم محيسن في كتابيه: المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، (المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٧)، ٢/ ١٤٣؛ وكتاب الهادي، ٣/ ٤٤.

(١٤٢) انظر كلام ابن زنجلة في حجة القراءات، ص: ٤٥٤؛ وكلام الطبري في تفسيره، ١٦/ ١٨٢.

(١٤٣) فتح القدير، ٣/ ٣٧٤.

رسم مصحف بلده، ثم إن من أهم ما يدل على عدم اختلاف الرسم هو قراءة يعقوب وهو بصري، فقد قرأ بالألف.(١٤٤)

---

(١٤٤) ولا بأس بأن نبين توجيه القراءة باختصار، فقراءة أبي عمرو على الأصل من عمل إنّ، حيث نصبت اسمها، وهو هنا اسم الإشارة (هذين) فنصبته بالياء، وأما قراءة ابن كثير وحفص بتخفيف إنْ، فقد أزيل عملها، والجملة بعدها مبتدأ وخبر، وأما قراءة الجمهور فقيل: هي على لهجة بلحارث بن كعب، فيجعلون التثنية بالألف في كل وجه، وهذا مما يمكن إدراجه ضمن وجوه القراءة التي روعيت فيها اللهجات، فنزل القرآن عليها. وقد ذكر بعض العلماء وجوهاً أخرى لهذه القراءة التي تخالف قواعد النحو، بأن (إنّ) – هنا – بمعنى (نعم)، وتكون الجملة بعدها مبتدأً وخبراً، أو أن هناك هاء مقدرة بعد أن على أنها (إنه)، والمعنى: (إنه هذان لساحران). ذكر هذه الوجوه وغيرها ابن زنجلة عن الزجاج وقطرب وابن الأنباري، انظر حجة القراءات، ص: ٤٥٥.

وذكر الطبري وجهاً آخر فيقول: "وجدت الألف من (هذا) دعامة، وليست بلام فعل – أي ليست أصلاً في بناء الكلمة– فلما بنيت زدت عليها نوناً، ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال"، تفسير الطبري، ١٦/ ١٨٠. وممن أيد رأي الزجاج في أن (إنّ) هنا بمعنى (نعم) ابن عاشور، ويقول: بأن هذا الوجه من مبتكرات أبي إسحق الزجاج، وقد عرضه على المبرد وإسماعيل بن حماد فقبلاه، وذكرا أنه أجود ما سمعاه في هذا، انظر التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٥٢. وانظر فتح القدير، ٣/ ٣٧٤؛ صبرة، محمد حسين، مخالفة القواعد النحوية في القرآن الكريم–مواضعها ومناقشتها ونتائجها، (دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٢)، ص: ٥٨–٥٩.

ويمكننا ملاحظة أن قراءة التخفيف تعكس استهزاء فرعون وملئه من موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، فقد قصر أمرهما على السحر، ومن هنا نلحظ بعدها ما قالوه استخفافاً من أمرهما أنهما يريدان إخراج القوم بسحرهما. وأما على قراءة التشديد فإن (إنّ) – هنا – حرف توكيد ونصب، فالمسألة ليست استهزاء بل حقيقة، ولذلك جاء الحديث بعدها عن جمع القوم كيدهم كي يتحدّوا موسى ﷺ. وهذا الجزم (التأكيد) جاء على حالتين: الأولى: أنهم جزموا بذلك ابتداء، وهذا ما يوافق القراءة (إنّ هذين لساحران)، والحالة الثانية: أنه ترددوا في قرارة أنفسهم لما رأوا معجزة موسى ﷺ ثم قالوا: نعم، ثم ابتدأوا: هذان لساحران، وهذا يوافق ما ذهب إليه الزجاج وغيره من أن معنى إنّ – هنا – هو نعم أو أجل، والله أعلم. فإن كان الأمر كذلك فقد بينت القراءات أحوال الملأ، فمنهم: المستهزيء ومنهم: المتردد ومنهم: الذي أخذ الأمر بجد وأعد العدة لمواجهة موسى ﷺ، وهذا الذي استقر في النهاية، فكان ما كان من جمع السحرة لميقات يوم معلوم، القصة.

٢. كلمة قال، في أكثر من موضع من القرآن:

وقد ذكر هذه الكلمة أكثر من واحد، ووقع فيها شيء من الخلط، أما مواضع هذه الكلمة:

١ – ما جاء في سورة الإسراء/٩٣، ورسمت ﴿قُلۡ﴾، فقرأ ابن كثير وابن عامر (قال) على الإخبار، حكاية عن النبي ﷺ، وقرأ الباقون (قل) على الأمر. وذكر بعض العلماء اختلاف رسمها.(١٤٥)

٢ – ما جاء في سورة الأنبياء/٤، ورسمت ﴿قَالَ﴾، وفي الآية/١١٢، ورسمت ﴿قَٰلَ﴾، فعن الموضع الأول فقد قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (قال)، وقرأ الباقون (قل)، وذكر بعض العلماء اختلاف رسمها.(١٤٦) وعن الموضع الثاني فقد قرأ حفص (قال)، وقرأ الباقون (قل)، ولم يقل باختلاف الرسم فيها إلا الجهني: إنها في مصاحف الكوفة بالألف.(١٤٧)

٣ – وما جاء في سورة المؤمنون/١١٢، ١١٤، ورسمت في الموضعين ﴿قَٰلَ﴾، ففي الأول قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (قل)، وقرأ الباقون (قال). وفي الثاني قرأ حمزة والكسائي (قل)، وقرأ الباقون (قال)، وقال باختلاف الرسم فيهما بعض العلماء، إنها في مصاحف الكوفة بلا ألف.(١٤٨)

---

(١٤٥) منهم: أبو عبيد في فضائل القرآن، ص: ١٩٨؛ ابن أبي داود في المصاحف، ١/٢٥٦، ٢٧٣؛ ابن مجاهد في السبعة، ص: ٣٨٥؛ الداني في المقنع، ص: ١٠٤، ١١١؛ ابن خالويه في الحجة، ص: ٢٢١؛ ابن الجزري في النشر، ٢/٣٠٩؛ محقق كتاب الغاية، ص: ٣٠٤؛ الجهني في البديع، ص: ١٧٨؛ محيسن في الهادي، ٢/٣٧٩، وفي الفتح الرباني، ص: ٩٥، ولم يذكر شيئاً عنها في المهذب، ٢/١٠٢.

(١٤٦) منهم: أبو عبيد، ص: ١٩٩؛ ابن أبي داود، ١/٢٥٦، ٢٧٤ وقد ذكره مرتين في هذه الصفحة؛ ابن مجاهد، ص: ٤٢٨؛ الداني، ص: ١٠٤، ١١٢؛ الجهني، ص: ١٧٨.

(١٤٧) البديع، ص: ١٧٨. وأشير إلى أنه ذكرها ابن أبي داود أيضاً: ١/٢٧٤، ولكن من دون تصريح بتغيير الرسم.

(١٤٨) منهم: أبو عبيد في الفضائل، ص: ١٩٩؛ الداني في المقنع، ص: ١٠٥، ١١٢؛ الجهني في البديع، ص: ١٧٩؛ ومحيسن في كتاب الفتح الرباني، ص: ١٠٢.

٤ – وما جاء في سورة الزخرف/ ٢٤، ورسمت ﴿قَٰلَ﴾، فقد قرأ ابن عامر وحفص (قال)، وقرأ الباقون (قل)، ولم يقل باختلاف الرسم إلا الجهني، إنها في مصاحف الشام بالألف.(١٤٩)

٥ – وما جاء في سورة الجن/ ٢٠، ورسمت ﴿قُلۡ﴾، فقد قرأ عاصم وحمزة وأبو جعفر (قل)، وقرأ الباقون (قال)، ولم يقل باختلاف الرسم إلا الجهني، إنها في مصاحف الكوفة بالألف.(١٥٠)

أما عن آية الإسراء، فكلام العلماء بأنها في مصحفي الشام ومكة بالألف واضح. وأما ما جاء في الموضع الأول من سورة الأنبياء، فهي مرسومة فعلاً في مصحفنا بالألف وفي غيره بلا ألف. وأما عن الموضع الثاني، فكلام الجهني لا يصح، إذ نجد الكلمة مرسومة في مصحفنا وهو مصحف كوفي– بدون ألف، وقد نفى الداني أن تكون هذه مرسومة بالألف في أي من المصاحف.(١٥١) وأما عن سورة المؤمنون، فيقول الداني: "وينبغي أن يكون الحرف الأول في مصاحف أهل مكة بغير ألف والثاني بالألف، لأن قراءتهم فيهما كذلك"(١٥٢)، ولعل هذا الذي جعل محيسن يخطيء في وصف القراءة(١٥٣)، ومع هذا فهي مرسومة في مصحف المدينة بالألف. أما ما ذكره الجهني عن آية الزخرف فلم يذكره غيره، ووجدتها في المصحفين المدني والبصري (قل). أما ما ذكره عن

---

(١٤٩) البديع، ص: ١٨١.

(١٥٠) البديع، ص: ١٨١.

(١٥١) المقنع، ص: ١١٤. ووجدتها مكتوبة في المصحفين المدني والبصري (قل).

(١٥٢) المقنع، ص: ١٠٥–١٠٦.

(١٥٣) انظر الفتح الرباني، ص: ١٠٢–١٠٣، وذلك حين قال عن الموضعين من سورة المؤمنون: بأنهما كتبا في مصحف أهل الكوفة (قل)، وبين قراءة حمزة والكسائي فيهما، وهي موافقة للرسم، أما عن ابن كثير فقد قرأ (قل) في الأولى، بينما قرأ (قال) في الثانية، وقرأ الباقون (قال) وهي موافقة لرسم مصاحفهم. وهذا كلام غير دقيق، فما ذكره عن ابن كثير أنه قرأ (قل كم لبثتم)، فعلى هذا فإن ابن كثير قد خالف رسم مصحف مكة. ثم إنه يقول عن الباقين إنهم قرأوا (قال) في الموضعين موافقة لرسم مصاحفهم، وهذا خطأ، فهل قرأ عاصم مثلاً (قال) بناء على رسم المصحف؟ فالرسم هو (قل)، ولم يتغير من قارئ لآخر من قراء الكوفة.

آية الجن فليس دقيقاً في وصف الرسم، فهي في الكوفي بلا ألف، إنما هي في مصحفي البصرة والمدينة (قال)، فهناك اختلاف في الرسم.

والسؤال الذي يطرح هنا: لماذا لم ترسم هذه الكلمة على صورة واحدة هكذا (قل) لتقبل القراءة الأخرى؟ وقد وردت مرسومة (قل) في مصحفنا خمس مرات لتقبل القراءة الأخرى، فقد جاءت في كل من سور: الأنبياء/١١٢، المؤمنون/١١٢، وفي ١١٤، الزخرف/٢٤، وفي الجن/٢٠.

وقبل أن أغادر هذا الموضع فإنني ألفت النظر إلى أن تنوع اختلاف القراء في قراءة (قال – قل) بدون نسق واحد هو أكبر دليل على أن القراءة لم تكن بالهوى والتشهي، إنما كلٌ أدى كما سمع.

٣. وهناك كلمات أوردها أبو عبيد وابن أبي داود والداني والجهني أن فيها اختلاف رسم بين مصاحف الأمصار، والحقيقة غير ذلك، فهي إما ذكرت خطأ –كأن تكون غير متواترة– أو مما فيها زيادة أحد الأحرف المعهودة الزيادة كما مر معنا، وليس هذا مجال التفصيل فيها، ومن هذه الكلمات:

أ – (إصرهم) في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾، (الأعراف/١٥٧)، ذكرها الجهني.(١٥٤)

ب – (كيدون) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾، (الأعراف/١٩٥)، ذكرها ابن أبي داود والجهني.(١٥٥)

---

(١٥٤) البديع، ص: ١٧٩، على أنها رسمت في المصاحف الشامية بالألف للجمع (آصارهم). فقد قرأ ابن عامر (ءاصارهم)، وقرأ الباقون (إصرهم)، والرسم على صورة (إصرهم) يحتمل القراءتين، لعلمنا بأنهم يزيدون الألف دون رسمها.

(١٥٥) كتاب المصاحف، ١/٢٦٨؛ المقنع، ص: ١٧٧، على أنها رسمت في مصاحف أهل الشام بالياء (كيدوني). فقد قرأ أبو عمرو وأبو جعفر (كيدوني) وصلاً، وقرأ يعقوب وهشام عن ابن عامر (كيدوني) وصلاً ووقفاً، وقرأ الباقون (كيدون) وصلاً ووقفاً. ومن خلال القراءات فيها يتبين لنا خطأ ذلك، إذ وردت الروايتان عن ابن عامر، وقرأ غيره بالياء، فالكلام غير دقيق، ثم من ناحية ثانية فإن من المعلوم أن الياء آخر الكلمة لا تحتاج إلى رسم، بل تزاد عليه، وقد ذكرها ابن الجزري في النشر، ٢/٢٧٥ ضمن الياءات الزوائد، وهكذا يفعل هو وغيره فيفردون باباً خاصاً بها.

ج – (كلمت) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾، (يونس/١٩)، وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، (يونس/٣٣)، وفي قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، (غافر/٦)، ذكرها أبو عبيد والداني والجهني.(١٥٦)

د – (لتخذت) في قوله تعالى: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾، (الكهف/٧٧)، ذكرها الجهني.(١٥٧)

هـ – (ولؤلؤاً) في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، (الحج/٢٣)، و(فاطر/٣٣)، ذكرها ابن أبي داود والجهني.(١٥٨)

و – (سادتنا) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾، (الأحزاب/٦٧)، ذكرها الجهني.(١٥٩)

---

(١٥٦) فضائل القرآن، ص: ١٩٨؛ المقنع، ص: ١١١؛ البديع، ص: ١٨٠، فقد ذكرت بأنها في مصاحف المدينة والشام بالجمع (كلمات). أما في الموضع الأول من سورة يونس فالقراءة عند الجميع هي (كلمة) بالإفراد، ولذلك رسمت هكذا، لأنه لا يوجد فيها قراءة الجمع. أما في الموضع الثاني من يونس وفي سورة غافر: فقد قرأ المدنيان وابن عامر (كلمات)، والباقون (كلمة)، ورسمت الكلمة هكذا (كلمت) لتحتمل القراءتين، فلا داعي للقول باختلاف الرسم.

(١٥٧) البديع، ص: ١٧٨، قال: "وقع في مصاحف أهل مكة وأهل البصرة (لتتخذت) بلام دون ألف"، وهذا كلام غريب، فالقراءات فيها هي: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (لَتَخِذْتَ)، وقرأ الباقون (لَتَّخَذْتَ)، وهكذا هي مرسومة في المصاحف كلها بلا ألف لتحتمل الوجوه الأخرى في القراءة.

(١٥٨) كتاب المصاحف، ١/٢٥٨–٢٥٩، ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٥؛ المقنع، ص: ١٧٩. قال الجهني: "ووقع في مصاحف أهل المدينة بالألف بعد الواو منصوباً. فقد قرأ نافع وحفص عن عاصم– ويعقوب (ولؤْلؤاً)، وقرأ شعبة –عن عاصم– وأبو جعفر (ولولؤاً)، وقرأ السوسي –عن أبي عمرو– (ولولؤٍ)، وقرأ الباقون (ولؤلؤٍ). ووجدت الكلمة في مصحف البصرة بالألف – أيضاً – فالذي نرجحه هو أنها مرسومة بالألف في المصاحف كلها.

(١٥٩) البديع، ص: ١٧٩، على أنها رسمت في المصاحف الشامية (ساداتنا) بالجمع. فقد قرأ ابن عامر ويعقوب (ساداتنا) وقرأ الباقون (سادتنا)، فنلحظ أن الرسم على صورة (سادتنا) يقبل الوجه الثاني دون القول باختلاف الرسم، فلو كان الرسم تقييداً لما قرأ يعقوب بالجمع.

ز – (عباد) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾، (الزخرف/١٩)، ذكرها الجهني.(١٦٠)

ح – (جاءنا) في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾، (الزخرف/٣٨)، ذكرها الجهني.(١٦١)

ط – (عباد) في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ﴾، (الزخرف/٦٨)، ذكرها ابن أبي داود والداني والجهني.(١٦٢)

ي – (وأكن) في قوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾﴾، (المنافقون/١٠)، ذكرها الجهني.(١٦٣)

ك – (قواريرا) في قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾، (الإنسان/١٥–١٦)، ذكرها ابن أبي داود والجهني.(١٦٤)

---

(١٦٠) البديع، ص: ١٨٠، على أنها رسمت في مصاحف المدينة والشام بالنون دون ألف، لا بالياء والألف. فقد قرأ المدنيان وابن عامر وابن كثير ويعقوب (عند)، وقرأ الباقون (عباد)، ورسمت هكذا (عبد) لتحتمل الوجهين، فبدون تنقيط يمكننا قراءتها (عند) و (عباد) على أن تزاد الألف كما هو معروف، فلا حاجة للقول باختلاف الرسم، ثم إن غير أهل المدينة والشام قرأ (عند) فكيف نفسر قراءتهم، ولماذا لم ترسم في المصحف المكي كذلك؟

(١٦١) البديع، ص: ١٨٠، على أنها رسمت في مصاحف المدينة والشام بالتثنية (جاءانا). وهذا خطأ، فقد رسمت في المدني بلا ألف، وقد قرأ المدنيان وابن عامر وابن كثير وشعبة عن عاصم (جاءانا)، وقرأ الباقون (جاءنا)، فالرسم على صورة (جاءنا) يقبل الوجهين معاً.

(١٦٢) كتاب المصاحف، ١/٢٦٤، ٢٧١؛ المقنع، ص: ١٠٦–١٠٧؛ البديع، ص: ١٨٠. على أنها رسمت في مصاحف المدينة والشام بالياء (عبادي). فقد قرأ المدنيان وابن عامر وأبو عمرو ورويس عن يعقوب (عبادي) في حالي الوقف والوصل، وقرأ شعبة (يا عبادِيَ) وصلاً وسكنها وقفاً، وقرأ الباقون (عبادِ). وما قلناه عن الياء في الأعراف يغنينا عن الإعادة.

(١٦٣) البديع، ص: ١٨١، على أنها رسمت في مصاحف البصرة بالواو (وأكون). فالحقيقة أنها في مصاحف البصرة بلا واو، وقد قرأ أبو عمرو (وأكون)، وقرأ الباقون (وأكن)، فالرسم يقبل الوجهين على أن تزاد الواو، ولو كانت الواو موجودة فعلاً فكيف يقرأ يعقوب –وهو بصري– بدون واو؟ ومن هنا فلا مبرر للقول باختلاف الرسم.

(١٦٤) كتاب المصاحف، ١/٢٥٨، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٧٦؛ البديع، ص: ١٨٢. على أن الألف في الكلمتين مثبتة في مصاحف المدينة والشام. فقد قرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر (قواريراً. قواريراً) بالتنوين فيهما وبإبداله ألفاً وقفاً، وقرأ ابن كثير وخلف (قواريراً. =

ل – (أقتت) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾﴾، (المرسلات/١١)، ذكرها الجهني.(١٦٥)

وأخيراً ألفت النظر إلى أنه لا يوجد اختلاف في رسم كلمة (بضنين) في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾، (التكوير/٢٤)(١٦٦)، ولا في كلمة ﴿دَكَّآءَ﴾ في الأعراف/١٤٣، والكهف/٩٨، وقد قرئت (دكاء). ولا كلمة ﴿حَشَ﴾ في (يوسف/٣١). ولا كلمة ﴿ رَأَيْنَهُۥ﴾ في الرعد/٤٢، وقد قرئت (الكافر). ولا كلمة ﴿ ضَلَٰلٍ﴾ في مريم/١٩، وقد قرئت (ليهب). ولا كلمة ﴿لَنَزَنهَا﴾ في يوسف/١١٠، وقد قرئت (فنُنْجي). ولا كلمة ﴿وَحِدَةٍ﴾ في النور/٢٢، وقد قرئت (يتأل). ولا كلمة ﴿ أَحَبُّ﴾ في النمل/٣٦، وقد قرئت (أتمدونني، أتمدوني). ولا كلمة ﴿يَٰعِبَادِ﴾ في الزخرف/٦٨، وقد قرئت (عبادي). ولا كلمة ﴿ قَالَ﴾ في نوح/٢٥، وقد قرئت (خطاياهم). ولا كلمة ﴿ثُمَّ﴾ في المدثر/٣٣، وقد قرئت (إذا). فلم يذكرها العلماء على أنها مما اختلف رسمها، ثم إن طريقة الرسم واضحة في احتمالها للقراءات الأخرى، مع زيادة همزة أو واو أو ياء أو ألِف.

= قواريرا) بالتنوين في الأولى وتركه في الثانية، والوقف على الألف في الأولى وبحذف الألف في الثانية مع تسكين الراء، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص وروح (قواريرا. قواريرا) بترك التنوين فيهما، ووقفوا على الأول بالألف وعلى الثاني بحذفها مع تسكين الراء، إلا هشاماً فوقف على الثاني بالألف أيضاً، وقرأ حمزة ورويس أيضاً بترك التنوين، ولكن مع حذف الألف فيهما مع تسكين الراء. ونلحظ من هذا التفصيل أن كلام الجهني غير دقيق في القراءة، فالرسم واحد والخلاف إنما هو حال الوقف.

(١٦٥) البديع، ص: ١٨١، على أنها رسمت في مصاحف البصرة بالواو (وقتت). فقد قرأ أبو عمرو (وُقِّتت)، وقرأ أبو جعفر (وُقِتَت)، وقرأ الباقون (أقتت)، فالراجح أنه لا اختلاف في رسمها، لأنها في المصاحف كلها (أقتت).

(١٦٦) وقد قرأها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس (بظنين) بالظاء، فقد رسمت بالضاد في جميع المصاحف كما نص على ذلك الطبري وأبو حيان وابن الجزري وغيرهم، انظر تفسير الطبري، ٣٠/٨٣؛ البحر المحيط، ٨/٤٣٥؛ النشر، ٢/٣٩٩. وقال محمد سالم محيسن – نقلاً عن الجعبري –: "إن وجه (بضنين) أنه رسم برأس معوجّة، وهو غير طرف فاحتمل القراءتين"، انظر الهادي، ٣/٣٣٧.

الخاتمة والنتائج

وفي نهاية هذه الدراسة لا أملك إلا أن أقف مبهوراً أمام عظمة هذا القرآن، وهذا التنوع المثري للقراءات التي وردت في بعض كلماته، وكلها وحي نطق بها حبيبنا ﷺ مما علمه إياه ربه سبحانه وتعالى عن طريق جبريل ﷺ، ولئن كنا قد درسنا نموذجاً مما اختلف رسمه بين مصاحف الأمصار من القراءات المتواترة، فهناك أنواع أخرى مما اختلفت فيها القراءات، وكلها تصب في بيان شيء من إعجاز القرآن العظيم، حين تقرأ الكلمة على أكثر من وجه وتؤدي أكثر من معنى مقصود.

وحتى لا يظنن ظان شيئاً في هذه الكلمات التي اختلف رسمها بين مصاحف الأمصار، فإضافة لما فصلنا في بيان قراءاتها المتواترة، فإنني أنقل كلاماً لأبي عبيد حول هذه الحروف، فيقول: "هذه الحروف التي اختلفت فيها مصاحف الأمصار مثبتة بين اللوحين، وهي منسوخة من الإمام الذي كتبه عثمان رضي الله عنه، ثم بعث إلى كل أفق مما نسخ بمصحف، ومع هذا إنها لم تختلف في كلمة تامة، ولا في شطر منه، وإنما كان اختلافها في الحرف الواحد من حروف المعجم، كالواو والفاء والألف وما أشبه ذلك، إلا الحرف الذي في الحديد وحده، قوله "فإن الله الغني الحميد"، فإن أهل العراق زادوا على ذينك المصريْن (هو)، وأما سائرها فعلى ما أعلمتك، وليس لأحد إنكار شيء منها ولا جحده، وهي كلها عندنا كلام الله، والصلاة بها تامة إذ كانت هذه حاله".

والآن أدرج النقاط التالية لتكون نتائج البحث:

١ – إن الاختلاف في القراءات المتواترة هو اختلاف تنوع وإثراء بلا تعارض في المعنى، ومنه ما يختلف فيه رسم الكلمة من مصحف لآخر من مصاحف الأمصار، والكلمات التي فيها اختلاف رسم هي سبع وثلاثون كلمة.

٢ – يرجع هذا الاختلاف في الرسم إلى محاولة اللجنة التي شكلها عثمان من مجموعة من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، أن يُكتب النص على طريقة تقبل وجوه القراءة الأخرى التي قرأها النبي ﷺ مما يرجع إلى نزول القرآن على سبعة أحرف، فإن أمكن الرسم كذلك فبها، وإلا فقد رسمت في بعض المصاحف بوجه وفي بعضها بآخر.

٣ – لا يتعدى هذا الاختلاف زيادة حرف أو حرفين، ولكنه ينوع في معنى الكلمة ويزيد من إعجازها.

٤ – أظهرت الدراسة بعض اللطائف المتعلقة بهذه الكلمات التي اختلفت قراءتها، فتنوع القراءة جاء ليعطي معنى آخر يريده الله سبحانه وتعالى وينسجم مع السياق القرآني للآية، وهذا في النهاية يرجع إلى بعض الحكم التي نزل القرآن لأجلها على سبعة أحرف.

٥ – بينت الدراسة عدم اطراد رسم الكلمة أو قراءتها على شكل واحد حيثما وردت، وهذا من أقوى الأدلة أن القراء لم يكن لهم أي دور سوى القراءة وفق السماع، فلم يكن لهم تصرف أو هوى في الكتابة أو القراءة، فكلٌ أدّى كما سمع.

٦ – معظم ما ورد من هذه الكلمات التي اختلف رسمها بين المصاحف العثمانية فقد جاء في الشامي، إذ خالف المصاحف الأخرى في (١٥) موضعاً، ويليه المكي فقد خالف الأخرى في (٦) مواضع، فالكوفي في (٤) مواضع، فالبصري في موضع واحد. وخالف المدني والشامي معاً المصاحف الأخرى في (٩) مواضع، والبصري والكوفي معاً في موضعين. فالمجموع (٣٧).

٧ – هناك مجموعة من الكلمات قد لا يكون كلام العلماء فيها دقيقاً من حيث اختلاف الرسم فيها بين مصاحف الأمصار، وذلك لإمكانية رسمها على صورة واحدة تقبل الوجوه الأخرى.

٨ – وقع بعض العلماء في وهم اختلاف الرسم، فذكر عدداً كبيراً من الكلمات فيها، والحقيقة أن قواعد الرسم العثماني المخالف أحياناً للرسم القياسي تسمح بقراءة بعض الحروف دون كتابتها.

أسأل الله العلي العظيم أن أكون قد وفقت في تحقيق هدفي من الدراسة، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١ – الآلوسي، محمود شكري، روح المعني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨).

٢ – البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، (دار الفكر، بيروت).

٣ – ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، (الرياض، تصوير ط/١).

٤ – ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، (دار الكتب العلمية، بيروت).

٥ – الجهني، أبو عبد الله محمد، في كتابه: البديع في رسم مصاحف عثمان، تحقيق سعود بن عبد الله الفنيسان، (دار إشبيليا، الرياض، ط/١، ١٩٩٨).

٦ – ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت).

٧ – ابن حجر العسقلاني، فضائل القرآن الكريم، تحقيق السيد الجميلي، (دار الهلال، بيروت، ط/١، ١٩٨٦).

٨ – حمادة، فاروق، مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، (مكتبة المعارف، الرباط، ط/١، ١٩٧٩).

٩ – أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، ١٩٩٠).

١٠– ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، (دار الشروق، بيروت، ط/٣، ١٩٧٩).

١١– الداني، أبو عمرو، عثمان بن سعيد، التيسير في القراءات السبع، (مطبعة الدولة، استنبول، ١٩٣٠).

١٢- الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق محمد أحمد دهمان، (دار الفكر، دمشق، ط/٢، ١٩٨٣).

١٣- ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، كتاب المصاحف، تحقيق محب الدين عبد السبحان واعظ، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/١، ١٩٩٥).

١٤- دراز، محمد عبد الله، مدخل إلى القرآن الكريم، (دار القلم، الكويت، ١٩٨٤).

١٥- الدمنهوري، أبو عياشة محمد البيومي، الفتح الرباني في القراءات السبعة من طريق حرز الأماني، تحقيق عبد العزيز بن ناصر السبر، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط/١، ١٤١٧هـ).

١٦- راجح، محمد كريّم، القراءات العشر المتواترة، المطبوع في هامش القرآن، (دار المهاجر، المدينة المنورة، ط/٣، ١٩٩٤).

١٧- الراجحي، عبده، التطبيق النحوي، (دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٥).

١٨- الرازي، الفخر، محمد، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، ١٩٩٣).

١٩- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، (دار المعرفة، بيروت).

٢٠- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط/٣).

٢١- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (مكتبة دار التراث، القاهرة).

٢٢- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٩٧٩).

٢٣- أبو زيتحار، أحمد محمد، (لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن)، (الهيئة العامة بشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥).

٢٤- السخاوي، علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق علي حسن البواب، (مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط/١، ١٩٨٧).

٢٥- أبو السعود، محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (دار الفكر، بيروت).

٢٦- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، (المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣).

٢٧- أبو شهبة، محمد بن محمد، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (دار الجيل، بيروت، ط/٢، ١٩٩٢).

٢٨- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، (دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط/١، ١٩٩٤).

٢٩- الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، بيروت، ط/١٨، ١٩٩٠).

٣٠- صبرة، محمد حسين، مخالفة القواعد النحوية في القرآن الكريم-مواضعها ومناقشتها ونتائجها، (دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٢).

٣١- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/٣، ١٩٦٨).

٣٢- ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤).

٣٣- عباس، فضل حسن، إتقان البرهان في علوم القرآن، (دار الفرقان، عمّان، ط/١، ١٩٩٧).

٣٤- أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق وهبي سليمان غاوجي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٩٩١).

٣٥- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق الرحالي الفاروق، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، السيد عبد

العال السيد إبراهيم، محمد الشافعي صادق العناني، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط/١، ١٩٧٧)

٣٦- العك، خالد عبد الرحمن، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم.

٣٧- أبو علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، الحجة للقراء السبعة، تحقيق ومراجعة: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاتي، عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، (دار المأمون للتراث، بيروت ودمشق، ط/١، ١٩٨٧).

٣٨- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٠).

٣٩- الفوتي، أحمد مالك حماد، مفتاح الأمان في رسم القرآن، (دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط/١، ١٩٦٣).

٤٠- القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف، الرياض، ط/٢، ١٩٩٦).

٤١- لاشين، موسى شاهين، اللآلئ الحسان في علوم القرآن، (مطبعة الفجر الجديد، القاهرة).

٤٢- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥).

٤٣- ابن مجاهد، أحمد بن موسى، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، (دار المعارف، القاهرة، ط/٢، ١٩٨٠).

٤٤- محيسن، محمد سالم، تاريخ القرآن الكريم، (دار الأصفهاني، جدة، ١٩٧٣).

٤٥- محيسن، محمد، الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني، (جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩٤).

٤٦- محيسن، محمد، المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، (المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٧).

٤٧- محيسن، محمد سالم، الهادي: شرح طيبة النشر في القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها، (دار الجيل، بيروت، ط/١، ١٩٩٧).

٤٨- ابن مهران الأصفهاني، أبو بكر أحمد بن الحسين، الغاية في القراءات العشر، تحقيق محمد غياث الجنباز، (دار الشواف، الرياض، ط/٢، ١٩٩٠).
٤٩- النسائي، أحمد بن شعيب، فضائل القرآن، تحقيق فاروق حماده، (دار إحياء العلوم-بيروت، ودار الثقافة-الدار البيضاء، ط/٢، ١٩٩٢).
٥٠- الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٦).